490

HARLEQUIN

روايات أحلام

رقصة تحت ضوء القمر

روبين دونالد

www.Rewity.com

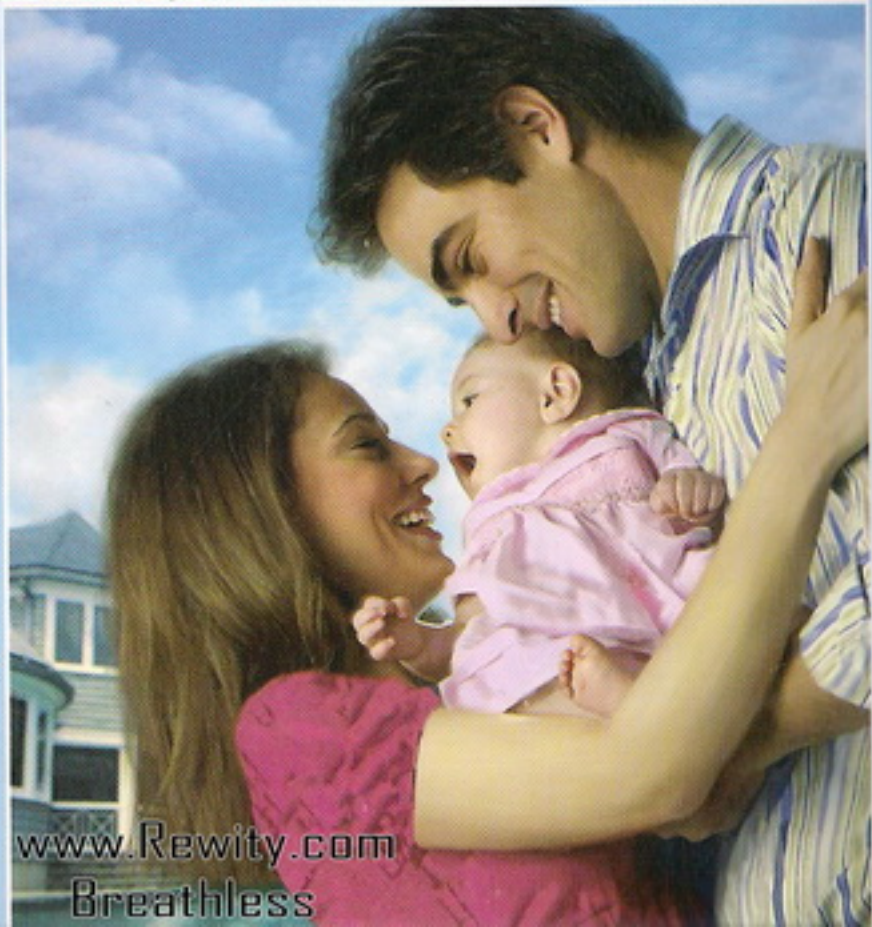

www.Rewity.com

Breathless

رقصة تحت ضوء القمر

استقرت نظرة جاكوبا المتفاجئة على الرجل الذي دخل عبر الباب. تسارعت الأفكار في رأسها، واجتاحتها رعشة وهي تطبق أصابعها بقوة على الستارة. هذا ليس الشخص البديل. من هو إذاً؟

تحرك الرجل القادم بحيوية وطاقة أثارتا الأحاسيس المختبئة في أعماقها. حبست أنفاسها وهي تنظر إلى وجهه الرائع المكتمل الوسامة، الذي يدل على أنه قادم من منطقة البحر المتوسط. بدت بشرته السمراء على تناقض مذهل مع عينيه ذات اللون الفاتح. تلك العينان اللتان تشابكتا مع عينيها لحظة دخوله الغرفة.

تلاشت الضجة، ولم تعد تسمع الآن سوى دوي دقات قلبها المتسارعة، بينما راح الأمير ماركو كونسيدين من إيليريا يسير نحوها، كأنها الشخص الوحيد الموجود في الغرفة.

بحدس عفوي، أحست جاكوبا كأن قلبها تغلف بقفاز من الفولاذ، ليحتمي من التأثير المدمر لرجل تجنبته طوال السنوات العشر الماضية.

لبنان:	3000 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	100 ل.س.	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2.50 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

رقصة تحت ضوء القمر

روبين دونالد

www.Rewity.com
Breathless

روايات احلام

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Prince's Convenient Bride
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Robyn Donald 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2011
ISBN 987 - 9953 - 15 - 528 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 11/8254 هاتف/ فاكس: 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.Rewity.com
Breathless

روبين دونالد

تعيش «روبين» حتى الآن في «نورثلاند» في «نيوزلند».

أقامت أولاً في مزرعة والدها المنتجة للأجبان والألبان، ثم انتقلت إلى «باي أوف أيلندز» وهي منطقة ذات جمال طبيعي أخاذ، حيث تعيش هناك مع زوجها وكلبها. استقالت من مهنة التدريس حين اكتشفت أنها تفضّل عليها كتابة الروايات. والآن حين لا تكتب «روبين» فهي تقرأ أو نعتني بحديقتها أو تسافر أو تكتب الرسائل لولديها الراشدين وأصدقائها.

١ - لقاء مع الأمير

قررت جاكوبا سنكلير أن هذا المكان هو الموقع المثالي لقضاء أمسية رومنسية رائعة. البدر المكتمل يبحر في السماء، ويزين قمم الجبال بتوهجه، مضفياً عليها بريقاً غريباً يحبس الأنفاس، ويرسم لوحات فوق صفحة البحيرة التي تلمع وتتماوج كالزجاج البركاني.

كان الناس داخل المبنى يحتسون الشراب مرتدين ملابس أنيقة، فيما الأضواء المنبعثة من الثريات الكبيرة في السقف تلتمع فوق الأكتاف العارية المزدانة بالمجوهرات، فتزيدها توهجاً، وكذلك أقمشة فساتين الساتان الرائعة وبذلات الرجال السوداء. كما تراقصت ألسنة الشموع على الطاولات المترفة المزدانة بأكواب الكريستال والفضيات، والمزينة بالزهور الذهبية والبيضاء.

مررت جاكوبا يدها فوق وركها، ولامست بأصابعها الطويلة قماش فستانها الحريري القرمزي. هذا الفستان يتناسب تماماً مع المجوهرات التي ترصع تاجها، وتشع فوق رأسها كالنار بسبب انعكاس الأنوار عليها. إنها جواهر حقيقية، تماماً كتلك التي تزين قرطيها وعقدها. كل شيء يبدو الليلة باهراً وحقيقياً. الجبال والبحيرة والنجوم المشعة في كبد سماء نيوزيلندا الصافية هي حقيقية أيضاً، لكنها تسخر من اللمعان الزائل في هذه الغرفة، وتتباهى بنجومها الماسية التي تنافس كل المجوهرات الموجودة في الحفلة... كل شيء آخر في هذه الغرفة كان مزيفاً، كالطلاء الواضح على الجدار ورائها...

www.Rewity.com Breathless

هذا الجناح المكتظ بالناس والمتصل بالمطعم يقع في أعلى طبقة من المبنى. في هذا النهار تم استئجار رجال ونساء أنيقي المظهر، ليتظاهروا بالمشاركة في الاحتفال، لأنهم يملكون أجساماً رشيقة ووجوهاً وسيمة... مثلها.

حصلت جاكوبا على مبلغ كبير من المال، لتبتسم وتبدو ثرية فاتنة تخطف الأنظار، ولا يمكن الحصول عليها، مثل هذه المجوهرات التي تشع فوق عنقها وفي أذنيها. قال زولتان بحماس: «أنتِ رائعة! تماماً هكذا... ستنظرين إلى البحيرة، ثم تستديرين إلى هذه الجهة حيث ترين الأمير فجأة. أريد أن أرى ملامح الدهشة والذهول على وجهك، تتبعها بداية ابتسامة، ثم تتحول هذه الثقة الواضحة بالنفس إلى شوق دفين».

توقف عن الكلام للحظة، قبل أن يضيف بنبرة مشككة: «أتعتقدين أنك قادرة على القيام بذلك؟».

تعلم جاكوبا أنه تم إغواؤه بمبلغ كبير من المال ليقوم بإخراج هذه الإعلان، وأنه تعهد بأن يحضر فتاة تضاهي بجمالها نجمات هوليوود لتقوم بهذا الدور. تعبت من الذين يكلمونها كأنها طفلة في الخامسة من عمرها، وقررت أن تبرهن له أن عارضات الأزياء يعرفن الكثير عن التمثيل. قالت: «أجل، أعتقد أنني قادرة على القيام بذلك».

وحدقت إليه بالنظرة التي يطلبها منها. حدق بها زولتان باهتمام، وعلق قائلاً: «حسناً! لنرَ كيف تبدو هذه النظرة عبر آلة التصوير».

تجاهلت جاكوبا انتقاده الواضح، وأعادت انتباهها إلى المناظر الرائعة. تذكرت شعورها عندما كانت طفلة. كانت تراقب الأطفال وهم يلعبون مع أهلهم، وتتساءل لما هي مختلفة عنهم، وليس لديها والد يصطحبها إلى مثل هذه الأماكن، ويمضي معها الأوقات الجميلة كبقية الأولاد؟

لم يزعج المخرج نفسه بإخفاء إعجابه بها، بل قال: «رائع! والآن،

تصرفي كأنك تلاحظين حركة ما في الجانب الآخر من الغرفة... تنظرين إلى هناك، وتشاهدينه... ببطء».

جلجل صوته مشتتاً تركيزها. استدارت جاكوبا مبتعدة عنه، وهي تشعر بالغضب والتوتر. رأت الباقين يلعبون أدوارهم، وهم يتحدثون ويتمازحون ويضحكون بنعومة. تجاهلت وجود آلة التصوير، وجالت بنظرها على الحشد. نقلت بصرها ببطء نحو الباب في آخر الغرفة، فوجدت رجلاً مميزاً يدخل عبر الباب. شين آبوت، الممثل الذي سيلعب معها دور الحبيب، لازم المنتجع لإصابته بفيروس في المعدة، لكنهم قرروا متابعة العمل من دونه مستخدمين شخصاً آخر ليرقص معها.

استقرت نظرة جاكوبا المتفاجئة على الرجل الذي دخل عبر الباب. تسارعت الأفكار في رأسها، واجتاحتها رعشة. هذا ليس الشخص البديل. من هو إذاً؟ تحرك الرجل القادم بحيوية وطاقة أثارتا الأحاسيس المختبئة في أعماقها. حبست أنفاسها وهي تنظر إلى وجهه الرائع المكتمل الوسامة الذي يدل على أنه قادم من منطقة البحر المتوسط. بدت بشرته السمراء على تناقض مذهل مع عينيه ذات اللون الفاتح، تلك العينان اللتان تشابكتا مع عينيها لحظة دخوله الغرفة. تلاشت الضجة، ولم تعد تسمع الآن سوى دوي دقات قلبها المتسارعة، بينما راح الأمير ماركو كونسيدين من إيليريا يسير نحوها، كأنها الشخص الوحيد الموجود في الغرفة. أحست جاكوبا كأن قلبها تغلف بقفاز من الفولاذ، ليحتمي من التأثير المدمر لرجل تجنبته طوال السنوات العشر الماضية.

قال المخرج بحماس: «رائع... هيا! استمري هكذا... توقفوا عن التصوير!».

استدار وقد ظهرت القسوة على ملامح وجهه، ثم تابع: «ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟».

www.Rewity.com Breathless

إلا أنه تمكن من لجم غضبه ما إن أدرك هوية القادم. انتقل على الفور إلى نبرة متملقة، وهو يقول: «آه! الأمير ماركو... لم أتوقع رؤيتك».

أنهى تعليقه من دون التفوه بالسؤال الذي لم يجرؤ على طرحه. فكرت جاكوبا بسخرية أنه وجد من الوقاحة أن يسأل أكثر الرجال سلطة في العالم عن أفعاله، لا سيما أنه المسؤول عن إنتاج مجموعة ضخمة من مساحيق التجميل التي ينفق عليها ملايين الدولارات. في تلك الأثناء. وقفت بهدوء تاركة أنفاسها تخرج ببطء من بين شفتيها، محاولة أن تكسب بعض الثقة والهدوء. إنه لأمر صعب على امرأة تملك شعراً متوحشاً بلون غروب الشمس وطولاً فارعاً، وتنتعل حذاء ذا كعبين عاليين، وترتدي ثوباً مصمماً خصيصاً ليشد الانتباه إليها، وتضع جواهر تشع ببريق يكفي لإنارة سماء القطب الجنوبي! قاومت جاكوبا بشدة كي لا تضحك من شدة الرعب الذي انتابها، وهذه ردة فعل طبيعية ما زالت تسيطر عليها منذ الطفولة، لذا حاولت أن تركز على الحديث الدائر بين الرجلين. قال الأمير ماركو بنبرة عميقة: «إنني أمكث في المنتجع في خليج شيبريك، لذا فكرت بالحضور، لأرى بنفسي كيف تسير الأمور».

شعرت جاكوبا بألم شديد في معدتها، فهي أيضاً تمكث في المنتجع نفسه. يا للصدفة!

إنها قادرة على التعامل مع هذا الأمر، فهو في الواقع لا يدرك مطلقاً من هي. والداها ممثلان شاركا في مسرحية مرعبة لا أحد يتذكرها، وذلك في المرحلة الأولى من طفولتها في إيليريا، لكنهما الآن ميتان. كما أن الكثير من الأمور حدثت خلال السنوات الماضية في تلك الإمارة الصغيرة الفقيرة التي تقع بين قلب أوروبا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط المشمسة. بالرغم من القرار المرعب الذي اتخذته شرطة إيليريا بنفي عائلتها، فهي وأختها ألكسا تعيشان بأمان الآن. كما يبدو

أن القرن الحادي والعشرين لم يتمكن من محو عداوة الدم التي ما زالت تشكل جزءاً لا يستهان به من وجود إيليريا. على أي حال، ولد الأمير ونشأ في بلد أمه فرنسا، وهو لا يهتم لمثل تلك الأمور.

نظرت إليه خلسة، وشعرت برجفة تعتريها. وجدت جاكوبا نفسها تتذكر بكآبة ويأس قصصاً من تاريخ إيليريا، قصصاً قديمة عن حروب قامت انتقاماً للشرف أو للأخذ بالثأر. وبخت نفسها بحزم، لا يجدر بها أن تستسلم لخيالها النشيط الذي أوصلها إلى المبالغة وتضخيم الأمور. أعادت انتباهها إلى الحاضر، لكن لم يكن هناك أي مجال للتخلص من التأثير القوي والمسيطر لوجود الأمير بالقرب منها. ما كانت جاكوبا لتنجح في عالم عرض الأزياء لو لم تكن طويلة القامة، مع ذلك فهو أطول منها بأربع بوصات على الأقل. بنية جسمه القوية وحركاته الرشيقة، تجعله محط أنظار كل من في الغرفة، كما أن قسمات وجهه القوي تظهر السلطة والقوة التي ورثها. إنه كونسيدين المتفاخر بميراث يعود إلى الأيام الغابرة في القرون الوسطى. هو الأخ الأصغر للدوق الأكبر في إيليريا، الذي يحل في المركز الثاني لحكم الإمارة. لا بد أن ماركو كونسيدين قد نشأ على المبادئ نفسها التي تقوم على الارتباط بالأرض والتعلق بقلعة أسرته في الجبال، ولا بد أنه يتمتع بالكبرياء والفخر المتوارثين عنها والمرتبطين بتاريخها الشهير. لهذا السبب هو يشكل خطراً بالنسبة إليها.

أخذت جاكوبا نفساً عميقاً. استقرت نظرة الأمير ماركو عليها للحظة، قبل أن ينظر من جديد إلى المخرج. فقط للحظة واحدة... مع ذلك شعرت كأن نظرته الفولاذية اخترقت أسرارها الدفينة، وسبرت أعماقها. شعرت أن الرعب الذي سيطر عليها أفقدها سلامة عقلها وتفكيرها، لكنها قاومت خوفها. هو لا يعلم أنها وُلدت في إيليريا أيضاً، لكنها تربت بعيداً عن أختها. لا أحد يعلم بذلك. حسناً! هناك

www.Rewity.com Breathless

فقط صديقتها المفضلة والوحيدة، كما أن هاكو لن يخبر أحداً بالأمر. بالنسبة إلى أي شخص آخر هي مولودة في نيوزيلندا، كما أن اسمها، الذي يتماشى مع بشرتها البيضاء وشعرها اللامع، يجعل معظم الناس يفترضون أن لديها أقارب في سكوتلندا.

أجبرت نفسها على عدم التفكير في مخاوف الماضي المظلم، وتساءلت لماذا يرتدي الأمير ثياباً تصلح لسهرة راقصة. البذلة متطابقة تماماً مع مقاس جسمه، وهي تظهر عرض كتفيه ورشاقة جسمه ذي العضلات القوية. قالت لنفسها بغضب، حسناً! إنه فاتن... رجل حقيقي مؤثر وجذاب، لكنها عملت من قبل مع أكثر الرجال وسامة في العالم، والتحديق به كفتاة مراهقة أمر محرج. وضعت على وجهها تعابير من الصفاء والهدوء، بعيدين جداً عن أي انفعال، وأجبرت نفسها على التركيز من جديد على الحديث الدائر بينه وبين زولتان.

قال الأمير بتأنٍ: «أتمنى أن تجري الأمور على ما يرام، وكما هو مخطط لها».

أكد له المخرج: «الأمور تسير بشكل جيد حسب ما هو مخطط بالفعل».

ثم راح يخبره بإيجاز عن كل ما تم إنجازه حتى الآن، وعما تبقى لإتمام العمل. اعتادت جاكوبا أن تحظى دوماً بالاهتمام بسبب مظهرها الأخاذ، لكن هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها تجاهلها. بالطبع! هي الآن ليست الوحيدة التي تسلب الألباب بوجود الأمير الوسيم.

لطالما فكرت في التقاعد بعد أن تصبح في الثلاثين من عمرها، أي بعد ثلاث سنوات، لكن الأجر المذهل الذي ستتقاضاه عن هذه الحملة الدعائية سيسمح لها بالتخلص من عملها على الفور، حسناً! ما إن تنتهي من العملين اللذين تم التعاقد معها لإنجازهما، حتى تبتعد عن الأضواء، وتعيش حياة طبيعية سعياً وراء الراحة. على الرغم من إيجاز

الحديث الدائر أمامها، لاحظت جاكوبا أن الأمير ذو ذكاء لامع، ولديه إرادة لا تلين. أثر بها ذلك بطريقة ما. بعد نظرة سريعة ألقتها على ملامح وجهه الواثقة والمسيطرة، فكرت أنه خطير جداً أيضاً.

كما لو أنه شعر بأفكارها عنه ونظراتها إليه، التفت الأمير إليها، والتقت عيناه الزرقاوان الهادئتان بعينيها. على الفور ظهر ما يشبه التحدي البدائي بينهما. بقيت تحدق به لعدة لحظات، ثم أخفضت أهدابها لتخفي ما تفكر به، لكنها بقيت تشعر بتحديقه بها، وهو يقول بنعومة وبنبرة عميقة: «نحن لم نلتقِ من قبل. أليس كذلك؟».

قال المخرج باقتضاب: «آسف! لم أدرك ذلك. هذه جاكوبا سنكلير».

تعمد إغفال ما تبقى من التعريف عنها، لكن ذلك لم يزعجها، فلديها أمور أهم لتقوم بها بدلاً من القلق بشأن رجال أغبياء يعتبرون أن عارضات الأزياء أقل شأناً من غيرهن، وأن مستواهن متدنٍ عن بقية النساء، وأنهن لا يملكن سوى الجسد الجميل فقط. وضعت جاكوبا على وجهها أكثر ابتساماتها تحفظاً، ومدّت يدها قائلة ببرودة: «كيف حالك، سيدي؟».

- آنسة سنكلير.

رفع الأمير يدها، وقربها من شفتيه، ليطبع في الهواء فوق قفازها قبلة رسمية. مع أي شخص آخر، كانت لتفكر أن هذا التصرف مصطنع ولا يحتمل. لكنه بطريقة ما، حول ذلك التصرف إلى إحساس سريع وقوي كالبرق اخترقها حتى الأعماق. أدركت أنها تتنفس بصعوبة، وأنها بحاجة ماسة إلى شراب ما لترطب الجفاف المفاجئ لفمها وحلقها. فكرت على الفور، أنه خطير بالفعل!

قال الرجل: «اسمي ماركو كونسيدين».

لكن عينيه الزرقاوين بقيتا تحدقان بها بشكل مباشر وواضح،

www.Rewity.com Breathless

يملؤهما بريق يفوق الإعجاب قليلاً. رأت جاكوبا نظرات الإعجاب تلك مئات المرات في عيني رجال آخرين، وأصبحت قادرة تماماً على تمييزها. لكن نظرة الشوق هذه مختلفة جداً. إنها آسرة ومخدرة... تحرك زولتان بانزعاج بجانبها، وهذا أمر جيد له، فهو يدرك بدون أي شك أن الأمير ماركو هو من يمسك زمام الأمور كلها في هذا الوضع. آه! بالطبع لديه عقد، لكن جاكوبا لم تشك للحظة أن الأمير قادر على إنهائه بقسوة وقوة إن أراد ذلك. شعرت بالرضى والمرح عندما أسرع المخرج بالتعليق بكلام سخيف عن الطقس. عقد ماركو كونسيدين حاجبيه السوداوين بتجهم، ثم أعاد انتباهه إلى الرجل بجانبه. لم تجرؤ جاكوبا على الشعور بالراحة، بل شعرت بصدمة. سأل الأمير: «إذاً، متى ستنتهي؟».

أجاب المخرج: «علينا مغادرة المكان عند الساعة السادسة صباحاً، لكن من المحتمل أن ننتهي من التصوير قبل ذلك. نفذت جاكوبا الملاحظات الموجهة إليها بشكل جيد فعلاً».

أيها الأحمق المتملق! قالت ذلك في سرها، لكنها أظهرت أسنانها الجميلة كأنها تبتسم له، وعلقت بضيق: «أنت لطيف جداً».

سأل الأمير بنبرة طبيعية: «أين هو شريكها؟ أليس من المفترض أن ينفذا رقصة فالس رومنسية؟».

مدّ زولتان يديه أمامه، ورفع كتفيه قبل أن يقول: «يعاني شين آبوت من ألم في المعدة».

حدق الأمير به قائلاً: «ألا يشكل غيابه عائقاً بالنسبة لإكمال العمل؟».

أجاب المخرج بتوتر: «لا... لا! سيكون موجوداً في اللقطات القريبة، الليلة نحن نستخدم البديل عنه لنصور اللقطات المتعلقة بمشاهد الرقص البعيدة في أرجاء القاعة».

هز الأمير رأسه، وقال: «هل تمانع إن بقيت هنا للمشاهدة؟».

بالتأكيد جاكوبا تمانع، لكنها تعلم أنها غير قادرة على الاعتراض. قال زولتان بحماس: «لا! على الإطلاق».

نظر الأمير إليها. ضاقت نظرته قليلاً وهو يسألها: «أتمانعين لو بقيت للمشاهدة آنسة سنكلير؟».

ابتسمت جاكوبا ليبدو حماسها شبيهاً بحماس المخرج، وقالت: «لا، سيدي».

بعد قليل راقب ماركو البديل وهو يتعثر بعد الخطوة الثانية في الرقص. تساءل كيف يمكن لأي رجل أن يكون أخرق هكذا في حين أن شريكته تتحرك كأنها في حلم. أتراه متأثراً جداً لأنه يرقص مع الفاتنة المشهورة جاكوبا سنكلير؟ لاحظ أنها تقوم بأفضل ما يمكنها لتخفي عدم جدارة الرجل، لكن لباقتها لم تنفع في إعطائه أي إحساس بالنغمة والحركة. تساءل إن كان لون شعرها طبيعياً، فهو يبدو كألسنة النيران وكذلك لون ثوبها. صرخ زولتان: «توقفوا عن التصوير».

ثم تابع بنبرة عادية: «حسناً! من دون مجاملة، ليس هذا هو المطلوب».

تجهم وجه البديل، وقال بوقاحة: «إنها لا تتمكن من متابعتي».

قال ماركو بهدوء: «هل يمكنني القيام بالدور؟».

حدق به المخرج، فيما بدت عليه ملامح الدهشة والاستغراب. تابع ماركو بنبرة ساخرة: «إن لم أتمكن من الرقص بمهارة كافية، يمكنك أن توقفني على الفور».

لم ينظر إلى جاكوبا سنكلير، لكنه تمكن من الإحساس برعبها عندما اقترب منها. إنها ردة فعل لم يكن معتاداً عليها أبداً، فمنذ أن أصبح في السادسة عشرة من عمره، لم يشهد ماركو ممانعة من أي امرأة رغب في الاقتراب منها. لكن الوضع مختلف هذه المرة وأمام هذه الفتاة. هناك

www.Rewity.com Breathless

شيء ما يجذبه نحوها، لكنها لم تظهر له أي محاولة إغواء. ربما هي فعلاً مغرمة بذلك الرجل، وهي عشيقته منذ عدة سنوات، مع أن هوكي كندي غير مخلص لها. قال المخرج بنبرة مشككة: «حسناً! إن كانت هذه رغبتك».

أكد له ماركو بهدوء: «لن تخسر شيئاً».

هو في الواقع يريد أن يعرف ما سيكون عليه إحساسه وجاكوبا سنكلير بين ذراعيه. قال المخرج، وهو يخفي امتعاضه بابتسامة مقنعة: «حسناً! سنرى كيف تجري الأمور معكما. تذكري، جاكوبا! يجب أن تبدي منذهلة وشبه مغرمة. أريد أن أرى العاطفة والشوق الشبيه بالحماس عند الاندفاع في الماء للمرة الأولى. دعي جسمك يظهر الأحاسيس، وكأنك تشاركينه أحاسيسه».

تورد وجه جاكوبا، فابتسم ماركو، وكأن شيئاً دفيناً تحرك في أعماقه. سيطر على نفسه بقوة، وأصغى إلى زولتان وهو يعطي تعليماته، ذاكراً ما هو مطلوب منهما. استغرق الأمر أكثر مما اعتقد ليصوروا سيرهما البطيء نحو بعضهما البعض، واللقاء في وسط قاعة الرقص. جاكوبا سنكلير أخصائية من الطراز الأول بعملها، وهذا أمر جيد، لأن زولتان يبحث دائماً عن الكمال في عمله، لكن ردة فعله تجاه جاكوبا سنكلير تبدو عدائية تقريباً. بالرغم من ذلك، قدمت هذه الأخيرة ما وجده ماركو عرضاً ممتازاً. في الواقع، كاد يصدق أنها تشتعل شوقاً إليه. بكلمات أخرى، إنها ممثلة ممتازة! مع ذلك شعر بتوتر خفي لديها، وهو لا يعتقد أن سببه هو المخرج وتعليماته الصارمة لها. تساءل ماركو إن كان زولتان حاول التودد إليها من قبل ورفضته. تفاجأ من الغضب الذي شعر به بسبب تلك الفكرة، فركز على الفور على ما طُلب منه القيام به. وجد الأمر سهلاً، لا سيما أن آلات التصوير غير مسلطة عليه فعلاً، فعدساتها تتبع تحركات ظهره لا وجهه. قال المخرج:

«حسناً! جيد، هذا يكفي. والآن إلى الرقصة الفعلية».

ابتسم لماركو ابتسامة رجل لرجل، جعلت الأمير راغباً في لكمه على أنفه، وقال متابعاً: «وهذا أكثر متعة».

رفع ماركو حاجبيه، فارتبك زولتان. فجأة أنهى كلامه قائلاً: «إن أضعت الاتجاه، جاكوبا ستعمل على توجيهك إلى المكان المناسب».

مدّ ماركو ذراعه، فوضعت جاكوبا يدها عليه، وسارت بلباقة إلى جانبه حتى وسط الغرفة. بعد ذلك أصبحت بين ذراعي ماركو والحرير يطفو بينهما، وعطر نسائي خفيف يدغدغ أنفه، وجسدها الرشيق يتهادى بين ذراعيه. قاوم بشدة إحساساً حاداً بالشوق كاد يسيطر عليه. بدأت الموسيقى من جديد. بدا وجه جاكوبا خالياً من أي تعبير. تجنبت نظرة عينيه وحدقت إلى ما فوق كتفه. لم يتحرك ماركو حتى نظرت إليه متسائلة، وعندما ابتسم، رأى بريقاً من نار في عينيها الرماديتين. تمتم: «استرخي! نحن مغرمان. لا تنسي ذلك؟».

ومن دون أن يفسح لها المجال لتتكلم، أرجحها معه مستهلاً الرقصة. أمه الفرنسية هي من علمته الرقص، وهي معلمة قاسية جداً. ولا شك أن شخصاً بمثل قدراتها علم جاكوبا سنكلير الرقص أيضاً. تبعته جاكوبا بلياقة وانسياب، وهي ترفع وجهها الجميل نحوه، مظهرة تعابير خلابة تحاكي الاحساس بالانبهار من الحب الأول، إلاّ أن عينيها بقيتا حذرتين، كأنهما عينا غزال جريح.

بعد مرور حوالى بعض الوقت، سألها ماركو: «لماذا أصريت على قيادة الرقصة مع ذلك الشاب؟».

رمته بنظرة أخرى من عينيها الرماديتين. شعر ماركو بجسده ينتفض من جديد، إذ انبثق الشوق فيه مجدداً، فكاد يتعثر بخطوته. لاشك أن عقلها منشغل بتعليمات المخرج، لأنها ابتسمت له ابتسامة مليئة بالاغواء. ابتسامة تشع شوقاً، حتى إنه للحظة خطيرة تمنى لو أنها

www.Rewity.com breathless

بالفعل مرسلة له بالتحديد. سرعان ما ذكر نفسه أنها حبيبة هوكي كندي دائماً وأبداً. حسناً! هو لا يقبل المشاركة، كما أنه لا يريد أن يسرقها من كندي، الصديق المقرب لأخيه غابي. مع ذلك ظل يشعر بالشوق إليها.

قالت جاكوبا بنبرة عميقة: «على أحد الطرفين أن يقود الرقص».

- ألم يكن هو قادراً على القيام بذلك؟

لمعت عيناها مجدداً، وكأنها مترددة بالتحدث معه. قالت: «إنه بحاجة إلى دروس إضافية ليتمكن من القيام بدور الرجل في الرقص».

أطبقت شفتيها بقوة، فيما ازداد تورد وجهها، وظهر احمرار طفيف على خديها. مع أن لهجتها تحمل في طياتها النبرة الإنكليزية، سألها: «هل أنتِ من نيوزيلندا؟».

شيء ما ظلل النور في عينيها، لكنه اختفى قبل أن يتمكن من التفكير به ومعرفة ماهيته، أجابت بخفة: «ولادة ونشأة».

- من هذه المنطقة؟

تحركت كتفها تحت يده وهي ترفعها قليلاً. قالت: «لا، بل من منطقة نائية في الشمال».

عاد يسألها: «أتعنين من أوكلاند؟».

كورت جاكوبا شفتيها، وكأنها ستخبره عن أكثر الأسرار إثارة وغرابة في حياتها. قالت بمرح: «بل أبعد من ذلك. الشمال حيث لا تمطر السماء، وحيث الثلج أمر نادر، لكن الرطوبة قاتلة بالفعل».

- لم أذهب إلى هناك أبداً.

لمعت عيناها ببريق التسلية والمرح. إنهما ليستا رماديتين، فهناك شرارات ذهبية تلمع في أعماقهما، وكأن معدناً غريباً وثميناً يستقر في خلاياهما. أجبر نفسه على أن يكون موضوعياً، فهو ما زال منجذباً بجمالها. من الغرابة ألاّ يكون هوكي مخلصاً لها! تساءل ماركو لماذا

هي متعلقة برجل يعرف الجميع بشأن علاقاته العاطفية الأخرى؟ إنها تبدو واثقة جداً بنفسها، ومدركة تماماً لما تستحقه، فكيف ترضى القيام بدور بائس ومستسلم كهذا، دور العشيقة المخدوعة؟ لو أنها حبيبته، فلا بد أنه سيخلص لها بشكل مطلق...

من أين أتت هذه الفكرة إلى رأسه، بحق السماء؟ هو دائماً مخلص للنساء اللواتي يعاشرهن حتى انتهاء العلاقة، فما بالك لو كانت جاكوبا هي حبيبته! سمح لوجهها الرائع الجمال والاحساس بها بين ذراعيه أن يؤثرا به. من المحتمل أنها تبقى مع هوكي لأنه ثري بما فيه الكفاية حتى يدفع مراراً وتكراراً ثمن عدم إخلاصه لها. ربما ظهر شيء من أفكاره على وجهه، لأن جاكوبا نظرت إلى البعيد، وأجابت بكلمات باردة وحذرة: «إنها منطقة رائعة في نيوزيلندا. أنا متحيزة لها».

قال ماركو بنبرة ساخرة: «جميعنا ميالون للتحيز إلى ما يعجبنا».

تساءلت جاكوبا ما الذي دعاه إلى التكلم بهذه النبرة الحاسمة الساخرة. انعكس ذلك في عينيه الشفافتين. إنهما زرقاوان وثاقبتا النظرات لدرجة أنها تشعر بهما يجرحان الدرع الذي تلفه حولها بعناية.

تابع بنعومة: «ربما يمكنك أن ترافقيني لرؤية ذلك الجزء من نيوزيلندا يوماً ما».

زعزعت كلماته حركاتها الرشيقة المنسابة عبر القاعة، لكن عندما ضغطت يده بطريقة آلية عليها لتذكيرها بالخطوات، التقطت النغمة من جديد، وتابعت الرقص من دون أن تترنح، أما وجهها فلم تظهر عليه أي علامة من علامات الانفعال، لذا بقي الأمر مبهماً بالنسبة له. قالت بنبرة عادية وهي تبتسم من جديد: «ربما».

بدا كأنها تنظر إلى عينيه، لكنها كانت تحدق بحاجبيه، وعندما أحنى ماركو رأسه قليلاً نظرت ثانية إلى البعيد. ضجت الدماء في عروقها، وكأن شلالاً من الطاقة يجري فيها. من فوق كتفه العريضة لمحت

www.Rewity.com Breathless

المخرج يشير إلى عدد من الراقصين ليدخلوا باحة الرقص. إنه يبتسم. يبدو أنه حصل على ما يريده من هذا المشهد. لماذا تعرض شين المسكين لذلك الفيروس اللعين؟ إنه يمثل لها الأمان المطلق، فهو مغرم بزوجته لدرجة أنه لا يرى أي امرأة غيرها، وهذا ما يشعرها بالاطمئنان معه. أما مع الأمير الجذاب فيبدو كما لو أن جسدها يمتلك فكراً خاصاً به، وهو يشعر بالألم من شدة الفضول والشوق إليه. في الواقع، أدركت وهي تشعر بذهول من الصدمة، أنها لا تمثل أبداً، بل الأمر برمته حقيقي. إنها تشعر بالانجذاب إلى الأمير ماركو كونسيدين، وجسدها يؤكد لها ذلك. بدأ المخرج يرسم دوائر في الهواء، وهو يهز رأسه ويشير بيديه.

- أعتقد أنه يريدنا أن نتحرك بشكل دائري ونحن نرقص.

من دون أن يجيبها، شدها ماركو نحو جسده وأدارها حوله، مجبراً إياها على الاستناد عليه، في حين عمد الراقصون الآخرون إلى الابتعاد عنهما مفسحين لهما المجال للتحرك. إحساس غريب سيطر عليها بسرعة البرق، فارتجفت من خيانة جسدها لها.

تمتم الأمير: «أتشعرين بالبرد؟».

أبعدها قليلاً عنه ليتمكن من النظر أكثر إلى وجهها. آه! إنها لا ترتجف من البرد، بل تشعر بنار الشوق تحرقها. كيف يمكن لعينين بلون الثلج أن تلمعا كالنار؟ شهقت جاكوبا ما إن أحنى ماركو رأسه، وطبع قبلة على شعرها.

في اللحظة التي لمستها شفتاه بدأت أجراس الحماس والفرح تضج في أعماقها، مبعدة رنين صوت أمها الخائف والمتوتر عن أذنيها.

- لا تعترفي أبداً أنك من إيليريا... لا ترتبطي بهم بأي علاقة أو أي أمر آخر... إنها الطريقة الوحيدة لتبقي حية ومتوارية عن أنظارهم. عديني بذلك!

بالكاد لاحظت أن المصور يتبعهما لتصوير كل ما يقومان به. شعرت بإحساس من السعادة يعتريها لم تشعر به من قبل، فأغمضت عينيها، وهذا الأمر غير مذكور في النص. أراحت رأسها للحظة على كتف الأمير، مختبرة إحساساً غامضاً من الراحة في قوته وبنيته الخشنة وقامته الفارعة. صرخ المخرج بقوة، منهياً تلك اللحظة الفريدة: «رائع جداً! استمرا في ذلك».

أخيراً بدأ الفجر يشق طريقه ملقياً لونه الزهري الشاحب فوق الجبال. تثاءبت جاكوبا. إنها الآن ترتدي سروالاً عملياً وسترة سميكة، وهي تبدو مرهقة بالفعل، لكنها ما زالت متأثرة بما فيه الكفاية بالرجل الواقف بجوارها.

علمت أنها ستصحو قريباً من هذا الحلم، فهذا الحماس الشديد سيختفي ما إن تصل إلى ملاذ الأمان في غرفتها. حتى ذلك الوقت عليها أن تبقى عملية ومتماسكة قدر الإمكان، وهذا الأمر سهل عليها. لطالما كان كذلك، لأن خبرتها في هذا المجال تجعلها دائمة السيطرة والثقة بنفسها، لكن الذكريات الماضية وتحذيرات أمها الدائمة وخوفها من أن يكتشف أحدهم يوماً ما سرها الدفين، شتتت أفكارها ومنعتها من التخلي عن حذرها.

www.Rewity.com Breathless

٢ - خوف من الماضي

مع أن التصوير يجب أن يكون أمراً مملاً بالنسبة له، لكن ماركو كونسيدين لم يبدُ عليه التعب أبداً. وقف بجانب جاكوبا، وبطريقة ما حجب كل من يقف حوله عن نظرها. راقبته سراً تحت ضوء القمر الشاحب، ولاحظت أن ملامح وجهه المتغطرسة أصبحت أكثر بروزاً، كما أن حيويته ما زالت في أوجها. نظرت جاكوبا باضطراب واضح إلى البعيد، وجالت بعينيها بدون أي تركيز على الجبال العالية عبر البحيرة. طبع الليل الطويل وجه ماركو كونسيدين على حواسها. فهي تعرف جيداً الآن كيف يتحرك جسده وهو يقودها حول قاعة الرقص، كما أنها لن تنسى مطلقاً رائحة عطره الرجولي الخفيف وردة فعلها القوية إليه. كلما تذكرت هذه الحملة الإعلانية، ستتذكر بخوف غامض كم شعرت بالأمان وهي بين ذراعيه، وكم بدا ذلك الأمان مهدداً لوجودها.

على بعد مسافة قصيرة، وقفت عدة حافلات وسيارة بانتظار الجميع.

قال ماركو وهو يقودها: «من هنا».

أمسك بذراع جاكوبا عندما ترددت قليلاً. قالت بقلق: «المخرج بانتظاري».

- هناك سيارة أخرى لتقله.

قال ماركو ذلك بهدوء، ومال برأسه ناحية الطريق، حيث اقتربت عربة من الحشد، فتابع: «ها هي السيارة».

شيء من العناد ظهر في نبرة صوته، حذرها أن أي اعتراض إضافي من قبلها لن يكون منطقياً أو مقبولاً، لذا سارت بهدوء نحو السيارة الأولى التي رأتها تتوقف.

فتح موظف المنتجع باب السيارة، ثم أحنى رأسه للأمير، وقال: «صباح سعيد، سيدي».

ثم نظر إلى جاكوبا، وتابع: «صباح سعيد، آنسة سنكلير. هل سارت الأمور على ما يرام؟».

قال الأمير: «هذا ما أتمناه».

تحرك برشاقة ليجلس في المقعد الخلفي بجانب جاكوبا، من دون أن يتلامس جسداهما. حاولت هذه الأخيرة أن تهدئ من تسارع نبضها، فراحت تتنفس بهدوء، فيما انطلقت السيارة نحو المنتجع. أبقت جاكوبا ملامح وجهها خالية من أي تعبير، وعينيها مركزتين على الطريق أمامها، حتى ظهر المنتجع ممتداً بأناقة وجمال على جانبي البحيرة التي تبدو مياهها كأنها سوداء اللون. أصر ماركو على مرافقتها حتى غرفتها، وعندما وضع المفتاح في القفل، قالت معترضة: «أنا لست متعبة إلى هذه الدرجة. شكراً لك».

ابتسم لها بسخرية، وهو يسلمها المفتاح قائلاً: «بل أنت كذلك، فهناك ظلال تحت عينيك الغامضتين، وهناك شحوب واضح على وجهك».

بدا صوته عادياً، مع ذلك رأت لمعاناً غريباً في عينيه، جعلها تشعر برجفة خفيفة. هناك هالة من الجاذبية الطاغية حوله تجعل بشرتها تنتفض. بسرعة، وقبل أن تترك مجالاً للصمت الذي لن تتمكن من السيطرة عليه، قالت: «أعلم أن زولتان ممتن لقدومك، لكن أنا وأصابع قدمي نشعر بالامتنان أكثر منه. لابد أن التصوير كان ليستغرق وقتاً أطول لو لم تعرض خدماتك».

www.Rewity.com Breathless

رفع ماركو كتفيه، وعلق: «من بين كل هؤلاء الممثلين كان سيجد شخصاً ما يجيد الرقص، ما يجعلني أتساءل لماذا تم استخدام البديل، الذي يبدو بوضوح أنه لا يجيد رقص الفالس».

لأنه صديق زولتان! لكن بالرغم من موقف المخرج منها، لا ترغب جاكوبا في إثارة المشاكل له. قالت: «إنه يملك القامة المناسبة، وليس هناك رجال كُثر بهذه الصفة».

أحنى الأمير رأسه ذا الشعر الداكن، وكأنه يظهر موافقته... أو ربما لا. أعطاها المفتاح وهو يقول: «كانت ليلة مثيرة».

ابتسمت له برقة، وسارت إلى داخل جناحها. استدارت، ثم قالت: «شكراً لك، وعمت مساءً».

ضاقت نظرة عينيه، وللحظة طائشة اعتقدت أنه سيعانقها. تسارعت دقات قلبها بجنون وتوقع، إلى أن بدت القسوة على تعابير وجهه وتراجع إلى الوراء قائلاً: «عمت مساءً».

قبل أن تقدم على عمل أخرق، أغلقت الباب واتكأت عليه، وهي تشعر بنبضها يضج في أذنيها، كأنها بالكاد تمكنت من الهرب والتخلص من خطر عظيم. تساءلت إن كان الأمير قد شعر بمثل ذلك الإحساس الغريب الذي تملكها. لأول مرة في حياتها تمنت لو أنها تستطيع أن تكون أقل حذراً، فكل إحساس أنثوي في أعماقها يخبرها أنه رجل رائع. ذكرت نفسها بغضب، أنها سمعت ما يكفي عن علاقاته الغرامية. منذ سنوات، قامت جاكوبا بتصوير إعلان مع فتاة كانت تعاني من آثار علاقتها الغرامية مع الأمير ماركو كونسيدين. المسكينة! تخلى عنها بأسرع طريقة ممكنة، عندما اعترفت بتهور أنها تحبه. كما يبدو، تعمد الأمير منذ البداية أن يخبرها أنه لا يريدها أن تغرم به.

تثاءبت جاكوبا قبل أن تصعد إلى السرير. عليها أن تتخلص من كل الأفكار التي تقض مضجعها قبل أن تتمكن من الاسترخاء بما فيه الكفاية

لتسمح للنوم أن يتملكها. آخر ما فكرت به بغموض بالكاد بدا سؤالاً مترابطاً وواضحاً... بالطبع، بعد مرور تلك السنوات وموت الدكتاتور الذي حكم إيليريا، لم يعد الخطر محدقاً بها وبأختها من البلد الذي ولدتا فيه، بالرغم من تحذيرات أمها...

* * *

- كيف يمكنك القيام بذلك؟

رفعت جاكوبا نظرها عن طبق الكعك المحلى والفاكهة أمامها. مع أن الوقت أصبح بعد الظهر، قدم لها المنتجع الفطور على الشرفة المظللة خارج غرفتها. سألت: «ماذا؟».

نظرت ماري تانيبو باستياء إلى فتات قطعة التوست التي أكلتها، وقالت: «أنت تأكلين الكثير، ومع ذلك تبقين نحيلة».

- إنها الجينات والتمارين الرياضية.

قالت جاكوبا ذلك وهي تنظر بإعجاب إلى عمل المهندس، الذي تمكن من تزويد كل غرفة بشرفة خاصة تطل على البحيرة الرائعة الجمال والجبال المحيطة بها. تنهدت رفيقتها، وأردفت: «كيف يمكنك أن تبدي جميلة هكذا دون أي مساحيق تجميل، وشعرك معقود إلى الوراء كذيل الفرس، كأنك ما زلت طفلة، على الرغم من أنك لم تنامي لأكثر من ست ساعات؟».

قالت جاكوبا بنبرة لطيفة:

- أظن أنه مجرد حظ لا أكثر.

أضافت بمرح: «كانت أمي تقول دائماً: «تناولي فطور أمير، وغداء تاجر وعشاء متسول». وهذه المقولة صحيحة تماماً».

نظرت الفتاة الأخرى إلى ما وراء كتف جاكوبا، واتسعت عيناها. قالت بنبرة هامسة، وهي تبتسم: «بالتحدث عن الأمراء... أميرك وصل للتو، وهو يسير عبر المرجة كأنه يملك العالم وكل ما فيه».

www.Rewity.com breathless

الإحساس الذي طغى على جاكوبا أعلمها بحضوره. قالت بحزم: «إنه ليس أميري».

تمنت ألاّ تظهر على خديها الحرارة التي تشعر بها. قالت رفيقتها وهي تضحك بصوت عالٍ: «يجب أن يكون كذلك. بدا ذلك بوضوح ليلة البارحة، وأنتما ترقصان معاً كأنكما بطلا قصة خرافية».

وقفت على الفور، وتابعت: «علي أن أحضر حقيبتي. إلى اللقاء جاكوبا، وشكراً على النصائح المفيدة».

قالت جاكوبا وهي تشعر بعدم الارتياح: «لم أفعل شيئاً».

صححت لها ماري: «غير صحيح. أشعر أنني أفضل حالاً. بشأن الذهاب عبر البحار كما اقترحت علي... قمت بالاتصال بالوكالة التي تعملين فيها، فشكراً لك على ذلك كله».

غادرت ماري مسرعة، تاركة جاكوبا لتنهي قطعة الحلوى، في حين أن أعصابها راحت تنتفض بقوة.

عندما توقف الأمير ماركو بجانب طاولتها، رفعت نظرها إليه محاولة السيطرة على اضطرابها. أول فكرة خطرت ببالها صدمتها. كم هو جذاب بسروال الجينز والقميص القطنية الزرقاء التي تماثل لون عينيه بالتحديد! أبعدت بسرعة الإحساس القوي الذي شعرت به بالانجذاب نحوه، لكن عقلها بقي يؤكد لها أنه رائع. قالت: «صباح سعيد».

شعرت بالامتنان لقدرتها على القيام بتلك المجاملات باحترام وهدوء. بدا صوتها هادئاً ومتماسكاً، وبعيداً عن الشوق اليائس الذي تشعر به وتحاول إخفاءه.

جال ماركو بنظره على وجهها، وهو يبتسم لها ابتسامة تمزج السخرية والتعالي معاً. قال: «جاكوبا، هل أستطيع الجلوس معك؟».

أجابت بصورة آلية سريعة: «بالطبع، تفضل!».

جلس ماركو كونسيدين على الكرسي المقابل لها، وحدق بها بعينيه

الزرقاوين الفاتنتين. قال بنبرة جدية: «آمل أنني لم أخف صديقتك، وأدفعها إلى الابتعاد».

- لا، لم تفعل. لديها رحلة بالطائرة، وعليها الذهاب بسرعة.

إن استمرا بالتحدث في الأمور العامة فستبقى على ما يرام.

- إنها الفتاة التي كانت ترتدي الفستان الأبيض، الفتاة الساذجة مقارنة بك: الفتاة المدللة المترفة.

شعرت بالرعب من الغيرة البشعة التي سيطرت عليها، لأنه تذكر ماري. قالت بلا اهتمام: «أجل».

- وأنت، متى ستغادرين؟

إلى أين سيصل بحديثه هذا؟ هي تشك أن يقدم ماركو كونسيدين على الثرثرة معها لمجرد الثرثرة.

بعد لحظة من التردد، قالت: «بعد ظهر اليوم».

نظرت إلى الساعة في رسغها، وتابعت: «بعد ثلاث ساعات بالتحديد».

تراجع ماركو على كرسيه، وقال: «أنا ذاهب إلى تاهيتي لمدة أسبوع».

أجابت جاكوبا بحذر: «يا للروعة!».

- تعالي معي.

حوّل اقتراحه المباشر تماسكها إلى أشلاء، كما أصاب مكاناً خفياً في أعماقها. رأت في نظرته الانتظار البارد، وكأنها شيء جميل يريده، وهو قادر على الحصول عليه. شيء يؤمن له التسلية وهو يستطيع التخلي عنه ما إن يشعر بالملل منه. شعرت بغضب شديد، لكنها أخفت مشاعرها المتضاربة بابتسامة خفيفة، وقالت بهدوء: «أنت لطيف جداً، لكن لا. شكراً!».

هي ليست مجرد فتاة فاتنة الجمال، وبسيطة بلهاء ترضى بأي علاقة

www.Rewity.com Breathless

عاطفية دون ارتباط أو حب.

بقي يحدق بها بعينيه الثاقبتي النظرات: «هل أنتِ مغرمة بهوكي كندي؟».

قالت بضيق: «أنت الآن تتطفل على شؤوني الخاصة».

شعرت جاكوبا بالانزعاج، لأنه يصدق الشائعات التي تتعلق بعلاقتها مع الرجل الذي تعتبره أقرب صديق لها، وهو الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف قصة ماضيها، بالإضافة إلى أختها ألكسا.

ضاقت نظرة عيني مارك، وقال: «الليلة البارحة بدوت متجاوبة جداً معي. لم ترغبي بحدوث ذلك، لكن هذا ما حصل. وبالطبع... امرأة مغرمة برجل آخر لا تتصرف بهذه الطريقة».

وجدت جاكوبا نفسها محشورة في الزاوية، فهاجمته على الفور: «هذا يُعد تحرشاً، ولدينا قوانين تمنع مثل هذه الأفعال في نيوزيلندا».

- أم أنني اقتربت جداً من الحقيقة المحرجة؟ هو يملك هذا المنتجع. أليس كذلك؟

تورد وجهها من الغضب والضيق، وفقدت تماسكها الذي تُحسد عليه للحظة خائنة: «ماذا تعني بذلك؟».

- أعني أنه يدفع لكِ للبقاء هنا.

- لا!

عملت بسرعة على استرداد هدوئها وتماسكها. نظرت إليه باحتقار، وأظهرت نبرة صوتها برودة متعالية وهي تقول: «في الواقع، مؤسستك تدفع لي مقابل البقاء هنا، كما أنني أجد هذا الحديث مزعجاً».

عليه أن يشعر بالخجل، لكن من الواضح أن الأمراء لا يخجلون، لأن ماركو بدا ساخراً وهو يقول: «لم أعلم أنك محتشمة إلى هذه الدرجة، ويزعجك تدخل الآخرين في ما تعدينه شأنك الخاص».

أجابت على الفور: «إهانتك لي لن توصلك إلى ما أفترض أنك تريده».

سألها بنبرة ناعمة كالحرير: «وما الذي أريده؟».

أجابت بتعالٍ: «علاقة مؤقتة معي».

رفع ماركو حاجبه مستغرباً، لكنه بقي يحدق بعينيها بتحدٍ وببرودة، لدرجة أنها شعرت بتأثير نظرته في عظامها. بعد ذلك، ومن دون أي تحذير، مال إلى الأمام وأمسك بيدها. شعرت جاكوبا بلمسته تخترقها كأنها صدمة كهربائية... مع ذلك حدقت به ببرودة، بينما كان جسدها يضج بأحاسيس أصابتها بالرعب.

رفع ماركو يدها إلى فمه، وطبع قبلة على راحة يدها، فشعرت برجفة في عمودها الفقري وبدوار في رأسها، كأنها وصلت إلى عالم آخر مختلف، لا شيء فيه سوى ماركو كونسيدين. ظهرت ابتسامة مرحة على فمه، وترك أصابعه ترتاح على رسغها الناعم. قال بنبرة صادقة عميقة: «على الأقل سأكون مخلصاً لك».

عضت جاكوبا على شفتها، وقالت بصوت عالٍ: «لا!».

جزء ما في أعماقها يريدها أن تستسلم له، لذا بالكاد استطاعت أن تلفظ رفضها من بين شفتيها المترددتين.

- هل أنتِ متأكدة؟

تمتمت: «بدون أدنى شك».

وسحبت يدها من يده.

هذه المرة ترك يدها، لكن ليس قبل أن ترى لمعان الرضى في عينيه. اتسعت عيناها المتفاجئتان، وهي تراقبه ينهض بحركة رشيقة سريعة. لكن ارتياحها كان قصير المدى، إذ انحنى ماركو نحوها وعانقها. تجمدت جاكوبا في مكانها، لكن إحساساً ما في أعماقها توهج بتوق لا يرحم، وكأنه ما زال يقظاً بسبب الساعات التي أمضتها بين ذراعيه الليلة الماضية. لم تشعر بمثل هذا الإحساس يوماً من قبل. شهقت، وحاولت أن تبتعد، لكن ماركو استمر في معانقتها ببطء ورقة.

www.Rewity.com Breathless

في اللحظة التالية كانت واقفة، فيما أحاطت ذراعي ماركو بها بقوة. عندما ابتعد عنها قليلاً ليحدق إلى عينيها بعينين شبه مغمضتين، همست بشيء ما... ربما باسمه، لكنها لم تسمع ما قالته، لأنه عاد إلى معانقتها من جديد.

رفعت جاكوبا يدها لتلمس خده، فالسعادة التي تشعر بها تطغى عليها. لطالما كانت حذرة في علاقاتها مع الرجال، ولم تتخلّ عن ذلك الحذر إلا مع هوكي، الذي هو بمثابة أخ لها. لم تشعر مرة من قبل بهذا الانجذاب القوي نحو رجل. همس صوت خفيف في رأسها، إن ما يحدث مجرد انجذاب حسي، لا شيء أكثر... مجرد انجذاب فقط.

عانقها ماركو وكأنها نصفه الآخر... وكأنهما سيفترقان، ولن يريا بعضهما من جديد أبداً، وهذا العناق هو كل ما بقي لهما معاً. توقف عن عناقها فجأة، وابتعد عنها ليقول بنبرة قاسية: «لابد أنني مجنون!».

تنفست جاكوبا بعمق، ثم رفعت يداً مرتجفة إلى شعرها. لابد أنه نزع الرباط عن شعرها المعقود كذيل الفرس، ولم تلاحظ ذلك. قالت بنبرة مرتجفة: «كلانا كذلك».

- لا بأس! لم يرنا أحد... على ما أظن.

رمقها بنظرة قاسية، وهو يتابع بنبرة عادية: «آسف!».

أدركت جاكوبا وهي تشعر بالرعب، أنها كانت ضائعة جداً بعناقه، لدرجة أنها لم تهتم مطلقاً إن كان العالم بأسره يراقبها أم لا. تمسكت بما تبقى لها من كبرياء وكرامة، وتراجعت إلى الوراء. بنبرة صوت، حاولت جاهدة أن تبدو مرحة وخفيفة، قالت: «أتمنى أن تسعد برحلتك إلى تاهيتي، سيدي».

ابتسم لها ماركو ابتسامة مقتضبة، بالكاد بدت فيها أسنانه البيضاء: «وأنا أتمنى أن تستمتعي في أي مكان تذهبين إليه وأي عمل تقومين به، لكن احفظي جيداً ما سأقوله لك: الآن، بعد أن علمت أنك تتوقين إلي

كما أتوق إليك، لن أفكر في التخلي عن الأمر».

شعرت بقلبها يقفز في صدرها. قالت بصوت مضطرب: «قد أكون المرأة الأولى التي تقول لك لا، لكنني أقصد ما أقوله».

لم يحاول أن يقول لها إنها مخطئة. بدلاً من ذلك قال على نحو مفاجئ: «أنتِ خائفة مني. لماذا؟».

حدقت به بغضب، وهي تدفع خصلة من شعرها إلى ما وراء أذنها: «لست كذلك. لكنني لا أقوم بعلاقات متهورة، سيدي».

تفاجأت عندما سمعته يضحك ضحكة عالية وبمرح حقيقي. قال لها بنبرة وقحة: «ولا أنا، وإن كنت تعتقدين أن رميك كلمة «سيدي» علي كالحجارة ستجعلني أحافظ على مسافة بيني وبينك، فأنت مخطئة».

أجابته بعجرفة: «أحتقر الرجال الذين يعتقدون أن لديهم الحق في الحصول على أي امرأة تعجبهم».

- قولي لي، من دون أي تظاهر أو تردد، إنك لا تشعرين بالانجذاب إلي.

علقت جاكوبا متلعثمة: «ما علاقة ذلك بأي شيء آخر؟ أنا لا أقيم علاقة مع أي كان، فلدي تحفظات على الأمر».

أجاب ماركو بهدوء: «وأنا أيضاً. لقد أوضحت فكرة هامة: أنتِ تشعرين بالانجذاب إلي، لكنك لا تريدين إفساد علاقتك مع هوكي كندي من أجل أمر غير صادق وحقيقي».

قالت بضيق: «أنت لا تعرف شيئاً عن علاقتي بهوكي».

- أعلم أنه غير مخلص لكِ، لذا لا يمكنك الوثوق به، ولا أمل لك في إكمال هذه العلاقة أو استمرارها إلى الأبد.

توقف عن الكلام، وعندما بقيت صامتة بعناد تابع: «... وأعلم أنه لا مجال للشك بإخلاصك له، فأنت تبدين راضية بانتظاره في كل مرة حتى يعود إليك».

www.Rewity.com Breathless

عندما تلفظ بتلك الكلمات، تساءل لماذا يزعج نفسه بالكلام، فالنساء بالعشرات في حياته، وبإمكانه الحصول على أي امرأة يختارها. مع ذلك ها هو يسعى إلى رفقة امرأة يبدو عليها بوضوح أنها لا تريد أي شيء يتعلق به. تباً! هناك نساء كثيرات أردنه وتجاهلهن. بعضهن اعترفن له بحبهن، فابتعد عنهن قبل أن يسبب لهن أي أذى أو ألم، فهو لم يسعَ مرة إلى أكثر من رفقة وعلاقة عاطفية عابرة، ولم يتم مرة إبعاده من قبل كما يحصل الآن. أما الآن، فهذه المرأة تنظر إليه بعينيها الرماديتين الرائعتين الغامضتين كالضباب، وتظهر بقوة إنكارها لأي انجذاب بينهما، مع أن الأمر شديد الوضوح.

قالت جاكوبا بضيق وتوتر: «من فضلك! ارحل الآن».

منذ قرون طويلة وأسلافه يأخذون ما يريدونه، وأحياناً يدفعون الكثير ثمناً لأفعالهم. تذكر ماركو ذلك فجأة. لكنه يعلم وبشكل مؤكد أن لديها كل الحق لترفضه، وأن الإغواء بالقوة لا قيمة له. منع نفسه من الإمساك بها، ليضمها ويعانقها من جديد، حتى تعترف أنها تشعر بأحاسيس قوية، كتلك التي تضج في رأسه وتسيطر على حواسه. قال بهدوء وبنبرة عادية: «بالطبع!».

بدأ عقله يعمل بسرعة إضافية. نظر إلى وجهها الجميل، ورأى لمعاناً في أعماق عينيها، شده أكثر إليها. قاوم الرغبة الطاغية بمعانقتها من جديد. لمس خدها، ولاحظ كيف اتسعت عيناها بارتباك. هناك طرق أخرى للحصول على ما يريده، فهو مشهور بأنه يملك استراتيجيات ناجحة للحصول على ما يريد. مع ذلك، في اللحظة التي لامست فيها رؤوس أصابعه بشرتها، انهارت كل استراتيجياته، وسيطر عليه توق شديد لمعانقتها مرة أخرى.

قرأت جاكوبا ما يفكر به على وجهه، لكنها بدت غير قادرة على إبعاده، فهذه هي المرة الأخيرة التي تعانقه فيها، وهذا ما تريده بالفعل.

ضمها إليه ماركو، وعانقها، مستغرباً تجاوبها. رفع رأسه، ونظر إلى عينيها بعينين حازمتين. قال:

- اتصلي بي إن احتجت إلي.

لم تحاول أن تخفي نبرة السخرية في صوتها وهي تقول: «مخرج جيد. من السهل جداً الوصول إليك. أليس كذلك؟».

لكنها قصدت، أن من المستحيل أن تسأل عنه، وهو يعرف ذلك.

- أي اتصال بأحد مكاتبي سيوصلك إليّ على الفور.

استدار ماركو، وسار مبتعداً. لمعت أشعة الشمس على شعره الأسود، وبدا جسده الرياضي كتلة من القوة، كأنه نمر كاسر. جلست جاكوبا، وهي ترتجف حتى عظامها، ومنعت نفسها من مراقبته حتى يغيب عن ناظريها.

أدارت رأسها، لكن الأوان كان قد فات. اختفى الأمير وراء المبنى، فشعرت بإحساس غريب من الوحدة والإحباط يسيطر عليها. تجاهلت ارتجاف يديها، وسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة محاولة أن تهدئ أفكارها. إذاً، لقد التقت بشخص من عائلة كونسيدين! ارتجف فمها، فوضعت الفنجان على الطاولة كي لا تسكب القهوة عليها. قالت بضيق: «وغد متفاخر ومتكبر».

آه، صحيح! وقاس وبلا رحمة، كما أنه مدلّل ومتحكم و... جذاب جداً. إنه الرجل الوحيد الذي شعرت بتأثيره عليها، لكن الحذر الذي تأصل في داخلها بسبب تحذيرات أمها يمنعها من رؤية ماركو كونسيدين ثانية. آه! ربما ستراه أثناء الاحتفال بإطلاق الحملة الإعلانية، لكنها متأكدة من أنه سيجد امرأة أخرى تشغله قبل ذلك الوقت، وعندها ستصبح بأمان. تركت فنجان القهوة على الطاولة الصغيرة، ونهضت على قدميها لتدخل إلى غرفتها.

* * *

www.Rewity.com Breathless

وافقت جاكوبا على العمل في أسبوع الأزياء في نيوزيلندا مقابل أجر جعل مديرة أعمالها تكاد تفقد وعيها لشدة الرعب. قالت جاكوبا، وهي تبتسم لتخيلها مديرة أعمالها القوية تنهار:

- أنا مدينة لهم، فهم من أعطوني الفرصة الأولى للعمل كعارضة أزياء.

- حدث هذا منذ إحدى عشرة سنة، وفي كل سنة تذهبين للعمل معهم مقابل سعر زهيد.

تنهدت بيلا بقوة عبر الهاتف، قبل أن تتابع: «أنت شديدة الولاء. هذه هي مشكلتك. ولاء غبي لا طائل منه».

- هذا ما تقولينه لي دائماً.

- وأنا على حق. بعد انتهاء ذلك الأسبوع ستذهبين في عطلة. أليس كذلك؟

- أجل. سأمضي أسبوعاً رائعاً في كوخ في أقصى شمال نيوزيلندا.

- كوخ؟!

ابتسمت جاكوبا، وقالت: «إنه كوخ صغير، يقع على أجمل شاطئ في العالم كله».

تنهدت مديرة أعمالها، وعلقت: «وبدون أي تسهيلات للاتصال عبر الهاتف، لن أتمكن من الوصول إليك».

* * *

شراء تلك المزرعة كان القرار الأنسب لها، فهي تبعد أميالاً عن أي مكان. بالنسبة لجاكوبا، إنها الملاذ الوحيد لها. عندما تنتهي من الأعمال المتبقية لها، ستبني منزلاً جديداً هنا لتعيش فيه.

رفعت نظرها عن شاشة جهاز الكومبيوتر، وتنهدت بارتياح، وهي تحدق بالشاطئ الذهبي. كان بإمكانها البقاء في منزل هوكي في جنوب خليج الجزر، لكنها بحاجة إلى الوحدة. حسناً! الآن هي بحاجة إلى

السباحة، فهي تكتب منذ الساعة الرابعة صباحاً، وقد اكتفى عقلها من التمحيص والتفكير.

وقفت جاكوبا، وجالت بنظرها فوق الخليج. عاصفة الأسبوع الماضي حركت الأعشاب البحرية، ودفعتها إلى الشاطئ، ولأنها تكره السباحة عبر الأعشاب بقيت بعيدة عن البحر. أما الآن، فأشعة الشمس تتهادى على سطح المياه الزرقاء، وليس هناك أي أعشاب برية تطفو فوق المياه.

من الأشياء الرائعة في كتابة القصص القصيرة، إنها تستطيع الكتابة في أي وقت تشاء. أمضت الساعات الأخيرة على كرسي طويل تحت مظلة تشرف على الشاطئ. بعد أن كتبت المزيد من الصفحات التي أملت أن تتحول إلى قصة للبالغين، حملت جهاز الكومبيوتر إلى الغرفة الوحيدة في الكوخ. تساءلت إن كانت الصفحات التي كتبتها جيدة، لكن تلك هي المسودة الأولى، لهذا فهي لا تشعر بالقلق على نوعية الكتابة الآن. كل ما تعرفه هو أنها تملك تفاصيل القصة في عقلها، وإن لم تسطرها على الورق، فهي تخشى أن تتحول إلى تفاهات وترهات. الكتابان السابقان اللذان كتبتهما للمراهقين تحت اسم مستعار لقيا النجاح، وأعيد طبعهما عدة مرات، ما أعلمها أنها قادرة على الكتابة وتطوير عملها.

تثاءبت جاكوبا، وارتدت ثوب السباحة. ستسبح عبر الخليج، ثم تستحم وتتناول غداءها وتنام تحت تلك المظلة. فكرت برضى وفرح أنها لا تتشارك بهذا الشاطئ مع أي شخص آخر. رنمت بسعادة نغمة موسيقية، ثم حملت سجادة صغيرة ومنشفتها. لكن ما إن فرشت السجادة على الشاطئ، حتى بدا لها كأنها تدعوها للجلوس عليها لدقيقة أو أكثر، كي تستحم بأشعة الشمس.

بطريقة ما، انجرفت إلى الحلم. . . . رجل عذبها للحظات وبدون

www.Rewity.com breathless

وعي منها، لأنها سمحت له بالابتعاد عنها في الناحية الأخرى من البلاد... لفظ اسمها ببطء ونعومة، ثم ابتسم ومدّ يده إليها... هذه المرة لم تشعر بمخاوف الثأر القديمة، لذا تستطيع الذهاب معه... عندما حاولت السير نحوه، أصبح الهواء كثيفاً جداً... فجأة، وجدت نفسها تبتعد أكثر فأكثر عنه... في النهاية سقطت على الأرض... استدار الرجل، وقال لها بقسوة: «تأخر الوقت كثيراً، جاكوبا!».

ثم اختفى...

علقت الدموع برموشها، فاستيقظت متفاجئة ومندهشة. قالت بسرعة: «آه، حباً بالله!».

نهضت بسرعة غاضبة من نفسها، وركضت إلى الشاطئ ثم إلى المياه. غطست في المياه بقوة، وسبحت بنشاط لتمحو كل ما تبقى من ذلك الحلم في ذهنها. سبحت بعناد على طول الشاطئ الممتد أمام الكوخ، لكنها وجدت نفسها ترتجف، بالرغم من أن الوقت هو أواخر الربيع والمياه دافئة. امتلأ ذهنها بأفكار تتعلق بمخاطر السباحة لا سيما أنها بمفردها. استدارت وتوجهت نحو الشاطئ. في البداية ظنت أنها سمعت صوت محرك قارب، فاستدارت وحدقت بالبحر. بعد لحظة من التحديق في البحر الفارغ، أدركت أن الصوت الذي يقترب بسرعة ليس لقارب. أعلمها هدير المراوح الدائرية بمصدر تلك الضجة.

راقبت جاكوبا بقلق الطائرة المروحية، وهي تنخفض فوق التلال، لتقترب أكثر من الشاطئ. فات الأوان لتعود إلى الكوخ. ثوب السباحة الذي ترتديه ليس محتشماً. هذا ما فكرت به بضيق وهي تحدق بالطائرة.

٣ - أنا انتظر...

وقفت جاكوبا في وسط المياه، تراقب الطائرة تستدير وتتجه مباشرة نحو الشاطئ. فكرت بشيء من الرعب أنه هوكي... لا بد أنه هوكي. هل حدث مكروه لألكسا؟ هل تحققت مخاوف أمهما بشأن اكتشاف أمرهما ومعاقبتهما؟ لا! أدركت بتعقل أن مخاوف إيلونا سنكلير تعود جذورها إلى الماضي، أما الحاكم الجديد الأمير أليكس، فقد حرر بلاده، وهو يقود شعبه إلى الديمقراطية، لذا فإنها وألكسا بأمان.

إذاً من هو القادم؟ أبعدت شعرها الناري عن وجهها، فيما سرى الاضطراب في عروقها بقوة أكثر ما إن أصبحت الطائرة فوقها مباشرة، وانخفضت لتستقر على الرمال. أسرعت تارة بالركض وطوراً بالسباحة نحوها. أخيراً توقفت والمياه تغمرها حتى خصرها، وحدقت بتوتر ما إن فتح باب المرافق للطيّار، وخرج منه رجل طويل القامة أسمر البشرة رشيق الحركة، وأسرع مبتعداً عن حركة المراوح.

اعتصر قلبها ألم مفاجئ. كم عدد المرات التي تخيلت فيها مذ غادرت منتجع خليج شيبريك، رأساً متعالياً ذا شعر أسود يتجه نحوها، فشعرت بمزيج من الحماسة والشوق، لكنها لم تحصل إلاّ على خيبة الأمل؟ هذه المرة تعرفت على الأمير على الفور. شيء ما في أعماقها تفتح وأزهر، كأن ناراً مسته، فتوهج، وأضاء، وعاد إلى الحياة من جديد. عادت مراوح الطائرة إلى التحرك من جديد بالاتجاه المعاكس. وقفت جاكوبا تراقبها، غير مصدقة أنها ترتفع بعيداً عن الشاطئ، وتتجه

www.Rewity.com Breathless

مجدداً نحو الحضارة والمدنية تاركة ماركو على الشاطئ. راحت الأمواج تندفع نحوها بلطف، وهي منشغلة بالتحديق بماركو كونسيدين، في حين أن قلبها بدأ يضج بالحياة من جديد بعد أسابيع من الحزن والموت البطيء. ابتسم لها ماركو، وبقيت عيناه مسمرتين على وجهها حتى اختفت المروحية وراء التلال خلف الشاطئ. تورد وجهها، وشعرت أن كل عصب في جسدها يرتجف.

قال ماركو بنعومة ما إن أصبحت قادرة على سماعه: «مرحباً، جاكوبا!».

- لماذا أنت هنا؟

تلفظت بكلماتها الغاضبة بنبرة خشنة ومنخفضة. أدرك مسبقاً سبب سؤالها المتسرع، فقال: «أتيت لأراك بالطبع. نحن بحاجة إلى مزيد من العمل في الحملة الإعلانية».

ظهر الاستغراب جلياً في نبرة صوتها: «لماذا؟».

- المشاهد على البحيرة ليست جيدة.

قالت بعجرفة باردة: «أنا لا أصور مشاهد سيئة».

- لست أنت المخطئة ولا المخرج، فأنا من لم يقم بالدور بشكل مقنع. يحتاج الأمر إلى إعادة التصوير من جديد... احتجنا إلى وقت طويل لنتمكن من معرفة مكانك.

- وكيف تمكنت من معرفته؟

أظهرت ابتسامته ثقته بنفسه واقتناعه بقدرته على الوصول إلى ما يريده. قال: «من وكيلة أعمالك، بالطبع».

بالطبع! لا أحد مطلقاً قادر على رفض أي طلب لماركو كونسيدين. ليس فقط لأنه صاحب مؤسسات ضخمة وناجحة، بل لأن ابن عمه الأمير أليكس سلمه أعماله الضخمة عندما استلم الحكم بعد وفاة الديكتاتور، وماركو قادها إلى مزيد من النجاح والتألق.

سألته: «ولماذا غادرت الطائرة؟».

رفع حاجبه بسخرية، وأجاب: «إنها توصل مسافراً آخر إلى منتجع في المنطقة العليا من الشاطئ، وستعود عمّا قريب. لديك وكيلة أعمال ماهرة جداً. تفاوضت معنا بشأن تعويض إضافي ومناسب لك».

أدركت جاكوبا كم يظهر من مفاتن جسمها أمامه، أما هو فيرتدي بالطبع ثياباً أنيقة وباهظة الثمن. قالت باقتضاب: «بيلا بارعة في عملها وكذلك أنا. بالطبع سأقوم بكل ما يطلب مني لإنجاح الحملة. أحتاج فقط إلى عدة دقائق حتى أصبح جاهزة».

رفع ماركو حاجبيه باستغراب، وقال: «سأساعدك على توضيب حقيبتك».

منذ دقائق قليلة فقط كانت تشعر بشوق شديد إليه، والآن ها هو هنا، وهي لا تريد أي شيء أكثر من الابتعاد عنه، فهو خطير جداً. رفعت رأسها عالياً حتى شعرت بألم في كتفيها، ثم بدأت بالسير نحوه. شيء ما طويل ورقيق وقوي التف حول ساقها، والتصق بجلدها. صرخت جاكوبا مصدومة ومنزعجة من نفسها في الوقت ذاته، فقد تذكرت بعد فوات الأوان الأعشاب البحرية التي كانت تطفو على سطح الماء.

سأل ماركو على الفور بصوت عالٍ: «ما الأمر؟».

قالت، لكن بعد فوات الأوان:

- لا بأس! لا شيء خطير.

لم يهتم ماركو لتبلل حذائه أو سرواله، أصبح قربها بخطوتين فقط. أمسك بها، ورفعها بعيداً عن المياه وهو يسأل باهتمام: «ماذا حدث؟ ماذا هناك؟».

تمتمت: «أعشاب بحرية. يمكنني أن أسير، إنها مجرد طحالب لزجة».

www.Rewity.com Breathless

شعرت أنها غبية بالفعل، لأنها لم تتمكن إلا من الصراخ والثرثرة. حملها نحو الشاطئ قبل أن يضعها على الأرض، ثم أمسك بها للحظات قليلة كي يتأكد أنها قادرة على الوقوف بمفردها. ثم - ولدهشتها - ركع على ركبتيه، وراح يبحث عن أي أثر لعضة أو لسعة. شعرت جاكوبا بالحرارة تجتاحها، وكأن ناراً مسّتها. قال بنبرة لم تعرفها هي نفسها: «أنا بخير».

سمعت صوت نورس من بعيد، فتردد الصدى في أذنيها بطريقة غريبة. راودها شعور بأن الأرض توقفت عن دورانها حول الشمس، فانحبست أنفاسها في صدرها. نظرت إلى رأس ماركو المنحني أمامها، ولم تستطع التفوه بأي كلمة لشدة تأثرها بقربه وبعزلة المكان. رفع ماركو نظره، ورأى في عينيها التعبير الذي لم يعد بإمكانها إخفاؤه. انتصب واقفاً على قدميه بحركة رشيقة سريعة، وابتسم لها. برعب غريب، وضعت يديها الاثنتين على كتفيه، ودفعته بقوة، لكن بدا لها كأنها تحاول أن تبعد جبلاً. ظل ماركو جامداً كالصخرة، وعضلاته تحت يديها قوية لا تتحرك. قال بنبرة حازمة وواثقة لدرجة الغرور: «حسناً!».

ثم أحنى رأسه، وعانقها... ضاقت ذراعاه حولها وهو يضمها إليه. يا للغرابة! تبخر كل ما لديها من إحساس بالمنطق. ارتجفت من شدة فرحها بقربه، واستسلمت لعناقه. في مكان ما في مؤخرة دماغها ترددت أصداء التحذير، لكنها تجاهلتها، لتضيع بذلك الشوق الكبير الذي تملكها طوال الأيام والليالي المنصرمة، والذي ملأ رأسها بسلسلة من الأحلام المقلقة. استجابتها لعناقه جعلتها تشعر بالكثير من الكمال في هذه اللحظة، وكأن شيئاً نادراً وجد طريقه فجأة إلى حياتها، فأحست أنها وجدت أخيراً منزلها الحقيقي. رفع ماركو رأسه ليحدق بها، وهو يقول: «أنت جميلة جداً».

أدارت جاكوبا رأسها وألقت به على كتفه. شعرت بأنفاسه تتسارع، وسمعت دقات قلبه في أذنيها. قالت له: «أنت أيضاً».

ضحك بمرح، ما دفعها لترفع رأسها وتنظر إليه. قال: «وفري هذا الكلام لرجال مثل شين أبوت أو البديل عنه في التصوير».

ثم أحنى رأسه، وعانقها قبل أن تتمكن من إيجاد كلمات مناسبة لقولها له.

قال لها باللغة الفرنسية: «أنتِ جميلة جداً، وتشعين كنور الصباح».

تتحدث جاكوبا باللغة الفرنسية، لكنها كانت لتفهم ما الذي يقصده حتى لو كانت تجهلها، فهو غير قادر على السيطرة على لمعان عينيه الفاتحتين، وعلى تورد وجهه الأسمر.

همست باللغة نفسها: «إنه شعور متبادل».

رفع ماركو رأسه، وغدت عيناه فجأة حادتين وحازمتين. سألها: «كيف يمكن لفتاة من نيوزيلندا أن تتحدث باللغة الفرنسية بمثل هذه الطلاقة وهذه اللهجة؟».

كيف يمكنه أن يبدد أجواء الشوق والشغف بهذا الشكل المفاجئ؟ ارتجفت جاكوبا حتى أعماقها، وأجابت: «مربيتي كانت فرنسية. كبرت وأنا أتحدث الفرنسية».

هز ماركو رأسه، لكنها أدركت أنه يخزن هذه المعلومة في مكان ما من دماغه الذكي. همس على بشرتها: «في وقت لاحق، عليك أن تخبريني المزيد عن طفولتك ونشأتك».

تبخرت على الفور تلك المشاعر الطاغية عليها. أبعدت رأسها عنه، لكن قبل أن تحظى بالوقت الكافي لتستجمع قدراتها، عانقها من جديد، وهو يمرر أصابعه الطويلة في شعرها. رفع رأسه، وقال بصوت قاسٍ: «أثرت جنوني منذ اللحظة التي رأيتك فيها. قولي لي الآن إن هوكي كندي حبيبك، وسوف أبتعد عنك».

www.RewiyaCom Breathless

قالت جاكوبا متلعثمة: «لن أفعل... فهو ليس كذلك».

انتظر ماركو لبعض الوقت، وعندما طال صمتها، قال بدون أي تفهم أو تعاطف: «لماذا تبقين معه إذاً، فيما يظهر بوضوح أنه لا يحبك إلى درجة كافية ليكون مخلصاً لك؟».

شعرت جاكوبا كأن وجهها تجمد من الصدمة. قالت بانزعاج: «لست مجبرة على الإجابة».

ابتعدت عنه على الفور، ونظرت حولها بانزعاج. بدا ماركو غاضباً جداً. أدركت ذلك بخوف، ما إن تعرفت على ذلك النوع من الغضب البارد، الذي يشتعل كالنار تحت درع من السيطرة على النفس. قال بقسوة: «ألأنه حبيب رائع أنت تسامحينه على كل شيء؟ ألأنه يقدم لك نوعاً من الاستقرار؟ هل يبتزك بالتهديد؟».

شهقت جاكوبا، واستدارت مبتعدة، فأمسك بذراعها، وأدارها إليه حتى يتمكن من رؤية وجهها. سألها: «أهذه هي الحقيقة؟ أجيبيني...! أهذا ما يحصل؟».

بدت نبرة صوته قاسية وغاضبة، أما ملامح وجهه فبدت عدائية تماماً. فجأة تراءت لجاكوبا ملامح أسلافه الدمويين الذين اتبعوا سياسة شرسة في العصور الوسطى وما بعدها. أجابت بقسوة وغضب: «لا، بالطبع! هو لا يبتزني، ونحن لسنا حبيبين».

قال الأمير بسخرية: «هل أنتما مجرد صديقين مقربين؟ أنا لا أؤمن بهذا النوع من العلاقات بين الرجل والمرأة».

قالت وهي تتلفظ بالكلمات من بين أسنانها: «ذلك ما يحدث عادة عندما ينشأ الإثنان كأخوين. والآن دعني أرحل!».

ترك ماركو ذراعها ليضمها بين ذراعيه. بالرغم من غضبها، اندفعت الأحاسيس فيها كفيضان طاغٍ لا يقاوم، وسيطرت على كيانها.

- أخوان؟

قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة هادئة لطيفة. تنفست جاكوبا بعمق. أجبرت نفسها على التكلم بهدوء وبدون أي غضب أو حماس وهي تقول: «نشأنا معاً، فأمي وأمه كانتا أرملتين وكانتا مجبرتين على العمل لإعالة عائلتيهما. لهذا السبب اعتنت بنا إحدى الجارات. كنا نبقى عندها طوال النهار ونحن صغيران، وفي ما بعد كنا نذهب إليها بعد المدرسة وخلال العطل المدرسية. اعتاد الناس على التعامل معنا كأخ وأخته، وهذا ما نشعر به حيال بعضنا البعض».

طال الصمت بينهما. وأخيراً قال ماركو هامساً: «انظري إلي!».

رفعت جاكوبا جفونها بتردد، لتلتقي نظرته الثاقبة المشعة كالكريستال. سألها: «لِم لم تخبري أحداً بذلك؟ كل من يعرفكما يعتقد أنكما حبيبان، ويشفق عليكِ بسبب عدم إخلاصه لكِ».

رفعت رأسها عالياً، وقالت بنبرة غاضبة: «من سيصدقنا؟ على أي حال، هذا الأمر لا يعني أحداً غيرنا».

- لكنك أخبرتني به.

عضت جاكوبا على شفتها. أجل، هذا ما فعلته، لكن لماذا؟ هي وهوكي يقدران كثيراً خصوصيتهما، وهما يجدان الوضع مسلياً. أما هي فإن علاقتهما المفترضة تؤمن لها درعاً حامياً حيال الرجال الذين تصادفهم في عملها، ومعظم هؤلاء الرجال يرغبون في إقامة علاقة معها، لكنهم يقابلونها بحذر وبرودة خوفاً من إغضاب هوكي. بدون أي تحفظ أو مراوغة، قال ماركو مردداً صدى أفكارها: «لماذا أخبرتني؟».

حدقت به، وأفكارها تتصارع في رأسها، فكرر سؤاله: «لماذا أخبرتني، جاكوبا؟».

قالت بضيق: «لأنك أغضبتني».

- أم لأنك لا تريدين أن تثير علاقتك به اهتمامي أو غضبي؟

- لا!

www.kewity.com Breathless

أدركت جاكوبا الفخ الذي أوقعت نفسها فيه. تابعت بسرعة: «ألم تقل إن الطائرة ستعود في أي دقيقة؟».

إنها على حق! الإحباط الذي شعر به جعله يتقد غضباً. إنه يشعر بالشوق إليها في كل حواسه وأعصابه... يشعر به كنار حامية في أعماقه. بطريقة ما تمكنت جاكوبا من تشتيت سيطرته على نفسه، وهي سيطرة يفتخر بها دائماً وفي أي أمر كان. قالت جاكوبا بصوت مرتجف: «علينا الإسراع، فأنا بحاجة إلى حزم حقيبتي».

ضغط ماركو على أسنانه، وقاوم بشدة موجة جديدة من الشوق إليها. رأى كيف توردت بشرة وجهها الشفافة وهي تستدير مبتعدة. حملت بأصابع مرتجفة الرداء الملقى على الشاطئ، وهي ترمقه بنظرة جانبية محاولة كشف أفكاره.

قال بنبرة هادئة ومنطقية: «أنت على حق. من الأفضل أن نذهب».

سار مبتعداً عن الشاطئ نحو الكوخ ملاحظاً أنها تحاول استعادة ثقتها بنفسها. استخدم ماركو نبرته المعتادة الناعمة كالحرير والحازمة في الوقت نفسه، تلك النبرة التي تجعل موظفيه يركضون لتلبية ما يطلبه بسرعة، فقال: «لا داعي لهذا الخوف، فأنا لا أقدم على إغواء أي امرأة بالقوة».

لم تجبه جاكوبا، مع أنها شعرت باضطراب في أعصابها، بل احتفظت بكبريائها. تجاهلت الحرارة الواضحة على وجهها وقالت: «يسرني أن أعرف ذلك».

رفع حاجبه، وعلق: «بما أننا نعمل معاً، سأوضح لك أمراً: إن كان لابد من حدوث علاقة غرامية بيننا، فستحدث فقط عندما تظهرين بوضوح أن هذا ما تريدينه».

أخفضت رموشها، وهي تشعر بالخجل والضيق. قالت بانزعاج: «لا تقلق. لن يحدث ذلك أبداً».

توقف عند درجات الشرفة ومدّ يده إليها، قائلاً: «أهذا اتفاق جدي بيننا؟».

عندما ترددت، ابتسم لها كأنه يتحداها. سيطرت جاكوبا على ترددها وصافحته. شعرت بموجة كهربائية تمر عبر ذراعيها، وتثير اللهب الذي عملت جاهدة على إطفائه منذ دقائق قليلة. لمعان عينيه أعلمها أن هذا ما يشعر به هو أيضاً، وأنه تعمد أن يمسك بيدها. ضغطت على أسنانها، وابتعدت عنه قائلة: «إن كنت تريدني أن أكون جاهزة قبل عودة الطائرة، فأنا بحاجة إلى الاستحمام وتحضير حقيبتي».

قال ماركو بهدوء وبلا اهتمام: «سأنتظرك مهما تأخرت».

لكنه أطلق يدها، وسار قربها وهما يصعدان الدرج.

www.Rewity.com
Breathless

٤ - عودة إلى العذاب

تبعها ماركو إلى الغرفة الوحيدة في الكوخ. عندما دخل، نظر حوله مستغرباً ورافعاً حاجبيه لبساطة الأثاث وللبدائية التي يشعر بها من يدخل الغرفة. فكرت جاكوبا بضيق، تباً له! لقد احتل معظم مساحة الغرفة، كما استهلك معظم الهواء الموجود فيها. قالت بصوت عال: «أرجو أن تنتظرني في الخارج، سأحضر نفسي وأخرج بسرعة».

- هل ستعودين إلى هنا بعد العمل؟

قالت بشكل حاسم: «لا!».

تساءلت إن كان عليها أن تبوح له بذلك، لكن الأمر لا يستحق أن تقوم برحلة طويلة أخرى إلى الشمال من جديد، ففي غضون أيام قليلة ستمضي بعض الوقت في منزل هوكي في خليج شيبريك، وهو لن يمانع إن وصلت إلى هناك قبل يومين أو أكثر من الوقت المحدد.

قال ماركو: «إن أعطيتني صندوقاً، سأفرغ لك البراد».

غضبت منه لأنه بدا مدركاً لما يجب أن يقوم به، لكنها قالت بسرعة: «شكراً لك. صندوق التبريد هناك».

أشارت بيدها نحو صندوق كبير لحفظ الطعام. ما إن استدارت لتحضر ثيابها، حتى لاحظت أن حاشية سرواله وحذاءه مبللين بالماء. قالت: «أخشى القول إنني لا أملك مجففاً هنا لتجفف ثيابك».

رماها بنظرة مرحة، وقال: «لا تقلقي بشأن ذلك. أنا أتحمل الأمر».

عندما ارتجفت، أنهى كلامه بنعومة: «بالطبع! أستطيع أن أنزع سروالي، وأضعه على الشرفة، فحرارة الشمس قوية جداً وكافية لتجففه».

علمت جاكوبا أنه يتعمد مضايقتها، فابتلعت غصة، وقالت: «افعل ما تشاء. أنا سأذهب لأستحم».

آه! لماذا كلف نفسه مشقة القدوم إلى هنا بنفسه؟ الأثرياء وكبار رجال الأعمال الذين قابلتهم من قبل لديهم موظفون للقيام بمثل هذه الأعمال. أتراه اعتقد أن بإمكانه إقناعها بأن تصبح صديقته؟ أمسكت بين ذراعيها مجموعة من الثياب، واختفت في غرفة الحمام. تمنت بحرارة لو أنها تستطيع أن تختبئ في مكان ما في الغرفة حتى تصل الطائرة. ما زال عليها أن توضب حقيبتها أيضاً. شعرت بإحساس قوي من الإحباط المخجل، فأقدمت على الاستحمام بسرعتها المعهودة.

جففت جسمها، وارتدت سروالاً قطنياً وقميصاً واسعةً ذات لون أخضر داكن. أبعدت شعرها عن وجهها إلى الوراء، وعقدته قبل أن تمرر أحمر الشفاه فوق شفتيها. عندما عادت إلى الغرفة، وجدته مرتدياً ثيابه، وقد أنهى تفريغ البراد. حدق إليها ملياً قبل أن يحمل صندوق التبريد عبر الباب نحو الشرفة التي تطل على البحر. حتى وهي تدير ظهرها له، وتوضب ثيابها في الحقيبة، ظلت تشعر بحضوره القوي. هذا ما فكرت به بغضب، وهي تغلق باب الخزانة بقوة. تجاهلت اضطراب أعصابها، فرفعت حقيبتها، وأخذتها إلى الخارج.

وجدت ماركو متكئاً على السياج، وهو يحدق عبر الخليج. بدا ضخم البنية، رشيق الجسم واثقاً من نفسه. مع أن صوت ارتطام الأمواج بالشاطئ يخفي صوت وقع قدميها على الأرض الخشبية، إلاّ أنه استدار على الفور، وقد تغلف وجهه الوسيم بقناع برونزي وهي تضع حقيبتها على الأرض. وقف مستقيماً، ومدّ يده ليأخذ منها جهاز

www.Rewity.com Breathless

الكومبيوتر النقال، فقالت: «ليس ثقيلاً. بإمكاني حمله».

قال ماركو بنبرة هادئة: «أهذا العناد جزء من شخصيتك، أم أنك توفرينه لي وحدي؟».

قالت بهدوء مهني، قامت بالتمرن عليه في غرفة الحمام: «إنه مجرد جهاز كومبيوتر خفيف الوزن».

- نشأت وأنا أؤمن أن على المرأة ألاّ تحمل أي شيء أثقل من حقيبة يدها.

تابع، وهو يبتسم بسخرية: «. . . إلاّ طفلها».

شوق عاصف وقوي اجتاحها. تخيلت طفلاً فوق ذراعيها. . . طفلهما، ربما فتاة صغيرة تحمل لون شعر أمها الأحمر وعينيها الرماديتين، وملامح والدها المتكبرة. . . أرعبتها الفكرة وجعلتها تشعر بالقلق. . . صوت محرك بعيد أنهى تلك القصة الخيالية. ها هي الطائرة تقترب بسرعة وبعلو منخفض فوق التلال. قال ماركو بنبرة هادئة، وهو يبتسم ابتسامة باردة: «وصلت في الوقت المثالي. لنذهب».

أخذ جهاز الكومبيوتر من يدها، وحمل بتوازن صندوق التبريد الثقيل في يده الأخرى قبل أن ينطلق.

* * *

وصلوا إلى أوكلاند في ساعة متأخرة من بعد الظهر. هبطت الطائرة على سطح مبنى في ساحة المدينة. عادة ما تستمتع جاكوبا بالطيران فوق المدينة الواقعة بين مرفأين. أما هذه المرة فبالكاد لاحظت ذلك. ما إن أصبحا في المبنى الفاخر المكيف، حتى قالت جاكوبا: «متى سنبدأ التصوير؟».

- صباح الغد. أنت ستبقين في هذا الفندق الليلة.

قال ماركو ذلك، ثم نظر إلى ساعته، وتابع: «لديك لقاء مع زولتان في غضون عشر دقائق».

عاد الآن ليتعامل معها ببرودة وبطريقة عملية، واضعاً الحواجز بينهما. هذا أفضل! راحت تقاوم بشدة الإحساس بالندم، لمجرد أنها استعادت الأحاسيس التي اجتاحتها منذ وقت قصير وهي بين ذراعيه.

الجناح الكبير الواسع المكيف يطل على الجهة الشرقية الشمالية من المرفأ. ومع أنه صمّم بطريقة بارعة، لكنه يعطي انطباعاً واضحاً بأن الفندق بُني من أجل الضيوف وراحتهم لا من أجل مالكه. تمنت جاكوبا لو أنها الآن بأمان في ملاذها الخاص في كوخها البسيط والبدائي، لكنه لن يبقى ملاذها بعد الآن، بعدما عرف ماركو طريقه إليه. لن تتمكن من الذهاب إلى هناك مجدداً دون أن تتذكره وتستحضر وجوده. نظرت إلى الزهور الموضوعة في وعاء الأزهار، وسألته: «لماذا أنت هنا؟».

قال بنبرة حازمة: «لتسهيل العمل والإسراع في إنجازه».

سمع على الفور رنين الهاتف، فتوقف عن متابعة الكلام. التقط سماعة الهاتف، وعلق: «لابد أنه زولتان».

رمته جاكوبا بنظرة حادة كالخنجر، فيما سمعته يقول: «حسناً!».

أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها، فقالت جاكوبا بكبرياء: «من فضلك! لا تجب على اتصالاتي مرة ثانية. أنا قدرة على متابعة أعمالي بنفسي».

حملت ابتسامة الأمير السخرية والتفهم في الوقت نفسه: «آسف! كانت ردة فعل تلقائية».

أجابت بنبرة قريبة من الغضب: «لابد أنك تكره أن أجيب على اتصالاتك لو كنت في منزلك».

لماذا قالت ذلك؟ هي لن تذهب مطلقاً إلى منزله. تعجبت كيف أن حضوره يجعل دماغها يغلي، ولسانها ينزلق بكل ما تفكر به. حدق بها ماركو بعينين متأملتين، وقال: «أنا متأكد من أنك خبيرة بما فيه الكفاية، ولن تعلقي على خطأ تافه كهذا. المخرج في طريقه إلى هنا».

www.Rewity.com Breathless

مع أن جاكوبا أرادت من ماركو أن يغادر، لكنها لم تستطع أن تطلب منه ذلك. ومادام يملك السلطة والمال، فلديه كل الحق بأن يجلس ويستمع إلى النقاش الدائر مع زولتان.

أجبرت جاكوبا نفسها على البقاء هادئة وعملية أثناء الحديث مع المخرج، ممعنة في تجاهل ماركو. لم ينجح الأمر، ففي كل مرة، كانت تشعر بنظرته مثبتة عليها كان جسدها يشتعل إثارة وشوقاً. بعد مرور حوالى النصف ساعة، قرر زولتان أن يغادر مبدياً مرحاً مفاجئاً. قال المخرج واعداً: «يوم واحد أو اثنان كحد أقصى».

- في أي ساعة سنبدأ؟

- عند الساعة السادسة صباحاً. ستأتي سيارة لتقلك إلى الموقع.

نقل نظره إلى الأمير الصامت، وعاد ليحدق بجاكوبا، ويقول وهو يبتسم بمكر: «اذهبي إلى السرير باكراً هذه الليلة، لتكوني بحالة رائعة في الغد».

لمعت عيناها وهي تجيب: «بالطبع!».

لا بد أن الرجل يعتقد أنها الحبيبة الحالية لماركو. اعترفت في سرها أنه لا يلام إن فعل. مع أن الأمير لم يلمسها، ولم يظهر أي أثر لأي علاقة حميمة بينهما، لكنها لاحظت بوضوح التملك الدقيق في تصرفه معها، وهذا يثير عواطفها وأحاسيسها ويقلقها على السواء. بالرغم من اقتناعها أن لا سبب منطقي لديها بعد الآن لتخاف من سكان إيليريا، لكنها لا تجرؤ على السماح لنفسها بالتقرب من ماركو كونسيدين. حسناً! لاشك أنها تبالغ في القلق بشأن الصحافة التي قد تكشف أسرار الماضي، كما أن القسم الذي أقسمت به لأمها على فراش موتها بألاّ تبوح أبداً بأنها من إيليريا، ما زال قائماً. لذا نهضت على الفور، وقالت لماركو: «شكراً لك على ما بذلته من مجهود، وعلى الوقت الذي هدرته لإحضاري إلى هنا».

نهض ماركو، وقال بلا اكتراث: «لا داعي للشكر، كما أنني مدين لك، فأنا اقترحت إعادة التصوير».

- علمت ذلك.

سألت بعد لحظات وقد تورد وجهها خجلاً: «ما الذي لم يعجبك بالتحديد في الصور الرئيسية؟ هل كنت ظاهراً بشكل واضح؟».

رفع حاجبيه وأجاب: «لا».

تابع بانزعاج: «كيف علمت أنني المسؤول عن إعادة تصوير تلك اللقطات؟».

- لو لم تعجب تلك الصور زولتان لأخبرني، وكان ليشعر بالفرح لحصوله على فرصة يثبت فيها أنني غير مناسبة لهذا الإعلان.

وجد ماركو نفسه يتمنى لو أنها تشبه عارضات الأزياء اللواتي يعرفهن، فهي منشغلة جداً بعملها، وهذا يعني أن لا وقت لديها للاهتمام بأي أمر آخر. هذه المرأة ذكية، وعندما تنظر إليه بهاتين العينين الرماديتين الصافيتين، فهي لا تؤثر فقط في حواسه وانفعالاته بل بعقله وإدراكه.

- أنت بارعة في عملك، لكن يبدو أن هناك اختلافاً في الحركة بين الصور التي التقطت لشين آبوت وتلك التي التقطت لي، وكما لاحظت أنا ذلك، لا بد أن الآخرين سيفعلون أيضاً.

إنها الحقيقة، لكنها ليست الحقيقة الكاملة! أضاف: «هذا أول عطر تنتجه الشركة، وأريد للحملة الإعلانية أن تكون من أفضل ما يمكن القيام به».

ها هو من جديد يقول الحقيقة، لكن ليس كلها! نظرت جاكوبا إليه محاولة الوصول إلى أعماقه بنظراتها الثاقبة ووجهها الجميل المشرق، أما شعرها فيتهادى على ظهرها كأنه نار حية تشتعل، وشعر ماركو على الفور بأعصابه تفور في جسده. أصبح صوته أكثر تصلباً وهو ينهي

www.Rewity.com Breathless

كلامه: «مبلغ طائل من المال ينفق على هذه الحملة».

- في النهاية كل الأمور تعود لتصب في مجرى واحد هو المال.

قال بسخرية وتهكم: «هكذا تجري الأمور في هذا العالم».

نظرتها السريعة إليه اتهمته بالرياء، فأضاف قائلاً: «أنت تستخدمين وكيلة أعمال صعبة جداً، فقد عملت على الحصول على أكبر مبلغ ممكن من المال، لتسمح لنا بإحضارك مجدداً».

رفعت جاكوبا كتفيها، ولم تعلق على ما سمعته، بل قالت: «إن كنت تعذرني، سأتناول عشاء باكراً الليلة. ها قد سمعت مخرجك المرتفع الأجر يعطيني تعليماته بالنوم باكراً».

قال الأمير بانزعاج: «أجل. وقد بدا وقحاً جداً كما أعتقد، في التعبير عما يريده منك».

رفعت كتفيها قائلة: «لم يكن يتحدث إليك، بل وجّه كلامه لي. المخرجون مستبدون وطغاة، لكنه لن يظهر عدائيته للرجل الذي يدفع له المال. كما قلت، المال يتحكم بالعالم كله».

سارت نحو الباب، وأجبرت نفسها على القول بنبرة عادية وعملية: «عمت مساءً».

قال بتكاسل: «نامي جيداً».

ثم غادر. أغلقت الباب وراءه وهي تتنهد بألم. اتكأت جاكوبا على الباب، محاولة أن تهدئ من توتر عضلاتها المتشنجة. لم تنجح أي من الطرق المعتادة في تهدئتها، فجسدها ظل متوتراً كالأسلاك المشدودة.

نزعت عنها ثيابها، واستحمت، لتزيل عنها بعض التوتر والقلق، لكنها لم تستطع أن تخفف من الشوق المتنامي في أعماقها إليه. هي تعلم أنها ستراه مجدداً، فهناك سلسلة من الحفلات حول العالم تم التخطيط لها لتقديم العطر، بدءاً من الحفل الملكي الذي سيجري في لندن، وهي ستكون رفيقة الأمير في كل رحلة.

أجبرت نفسها على تناول بعض الطعام الذي قدم لها في الغرفة، ثم أمسكت بهاتفها النقال وطلبت رقماً. انتظرت حتى أجابت أختها، وقالت: «مرحباً ألكسا! كيف تجري الأمور معك؟».

قالت ألكسا بمرح: «جيدة. أين أصبحت في كتابة القصة؟».

- لم أنجز الكثير.

أخبرتها بما حدث معها، فقالت ألكسا باهتمام ومرح: «أيتها المتعجرفة! وأنا التي لم أصدق للحظة أن عملك له أهمية بالفعل، وها هو المخرج يفعل المستحيل لتعاودي العمل معه».

ابتسمت جاكوبا قائلة: «لا تقلقي بشأن المخرج. تعاملت مع رجال أسوأ منه. كيف هي أستراليا؟».

- مذهلة!

ألكسا طبيبة بيطرية، وهي الآن في عطلة. امتلأت بالحماس وهي تخبرها بالكثير من الأمور. عندما انتهت، قالت جاكوبا: «أضفت صوراً رائعة ومعلومات كثيرة عن الحيوانات. كيف تجري الأمور المادية؟».

- لابأس! لا تقلقي بشأني، فقد أصبحت مستقلة الآن، والفضل يعود لك.

بدأت جاكوبا العمل عارضة أزياء وهي في السادسة عشرة من عمرها، وذلك بعد سنة من ظهور الأعراض الأولى للمرض الذي قضى على أمهما. ومع أنها استمتعت بعملها، إلاّ أن طموحها الأساسي كان تقديم أفضل عناية طبية لإيلونا سنكلير. عندما بدا بوضوح أن لا شيء قادر على إنقاذ أمها، بدأت بدراسة عدة طرق لاستثمار أموال أعمالها، كي لا تموت إيلونا وهي قلقة على مستقبل ابنتيها. أعطى عملها هذا أمها الأمان والثقة، وأمن لأختها ألكسا كل الوسائل التي أرادتها لتصبح طبيبةً بيطريةً. سألتها أختها: «هل كل شيء على ما يرام، جاكي؟».

www.Rewity.com breathless

- لا بأس!

أحست شقيقتها بالحزن الكامن خلف جوابها. ترددت قليلاً، ثم قالت باهتمام: «أعلم أن الأمور ليست على ما يرام. هل ما زال ذلك الأمير من إيليريا يحوم حولك؟».

- أجل.

صمتت ألكسا لعدة لحظات قبل أن تسأل: «هل تعتقدين أنه يشك بأمر ما؟».

أسرعت جاكوبا بالرد قائلة: «لا! أحياناً أتساءل إن كنا نبالغ قليلاً بالاحتفاظ بسرية هويتنا الحقيقية. أستطيع تفهم خوف أمي، لكن الأمور تبدلت الآن. كانت تشعر بالرعب من الديكتاتور والشرطة السرية، أما الآن بعد عودة الأمير الشرعي إلى الحكم، أشك أن هناك داعٍ للقلق. لا أخطط بالطبع للتجول وإخبار الناس أنني من إيليريا، لكنني ببساطة، لا أعتقد أن كارثة ستحدث إن علم أحدهم بالأمر».

لم تجب ألكسا عن السؤال المتضمن في ما قالته أختها. لكنها قالت: «ربما بالغت أمي قليلاً بخوفها علينا وبطلبها منا ألاّ نخبر أحداً بالأمر، لكن بالطبع كانت لديها أسبابها الواضحة».

- أعلم، لكن باولو كونسيدين توفي منذ سنوات طويلة، ولا أعتقد أن من الضروري أن نبقى حذرتين وخائفتين.

- هل قابلت الحاكم الجديد؟ هل يبدو من الرجال الذين يحلمون بالانتقام؟

ترددت جاكوبا بالرد، فهي لم ترَ ملامح الأمير الوسيم أليكس في مخيلتها، بل رأت وجه ماركو القاسي الباقي دائماً في عقلها ومخيلتها. الانتقام؟! لا، بل الازدراء والاحتقار...

أدركت أنها تريد من أختها أن توافقها على أنهما ليستا بحاجة إلى إخفاء جذورهما وإرثهما من إيليريا. قالت بسرعة: «إن كنت تفكرين

بقصص أمي عن الثأر فلا. الأمير أليكس رجل متحضر، وليس مجنوناً قاتلاً. بكل الأحوال، لماذا علينا القلق بشأن الانتقام؟ إن كان هناك من عليه أن يقلق، فهي الشرطة السرية. عليهم أن يخشوا أن نقدم طلب تعويض عن قتل والدنا وعن مطاردة أمنا لتهرب من إيليريا».

قالت ألكسا بنبرة غير واثقة: «قد يكون هناك أكثر بكثير مما أخبرتنا به أمي».

رفعت جاكوبا كتفيها قائلة: «ربما، لكنه أصبح من الماضي الآن. بكل الأحوال، لم يعد الأمر مهماً، فأنا أشعر كأنني من نيوزيلندا مئة بالمئة».

- وأنا أيضاً.

تابعت ألكسا بنشاط: «ذلك الكلام التافه عن إيليريا لا قيمة له مطلقاً عندي. أريد أن أنساه بشكل تام».

نظرت جاكوبا إلى الساعة الموضوعة بجانب السرير. قطبت جبينها عندما لاحظت كم مرّ الوقت بسرعة. قالت: «حسناً! لننسَ تلك الأمور. من الأفضل أن أنهي الاتصال الآن، فلدي عمل في صباح الغد».

عندما رن جرس المنبه في صباح اليوم التالي، استيقظت جاكوبا وهي تشعر بالتعب والإرهاق.

سألها المخرج أثناء وضع مساحيق التجميل على وجهها: «هل أمضيت ليلة طويلة، عزيزتي؟».

لعبت النبرة الماكرة والمخادعة في صوته على أعصاب جاكوبا. نظر إلى ساعته، وتابع: «كم من الوقت ستحتاج قبل أن تنهي عملك؟».

أجاب خبير التجميل بضيق:

- جاكوبا! لا تتكلمي.

حدق بالمخرج بغضب، وتابع: «أحتاج إلى عشر دقائق بعد،

www.Rewity.com Breathless

لأنتهي من وضع أحمر الشفاه. بعد ذلك علينا أن نضع ذلك التاج المزعج في شعرها».

علق المخرج: «ليس هناك أي إزعاج فيه، فهو يساوي أكثر من مليون جنيه».

قالت جاكوبا بضيق: «وهو ثقيل جداً».

صرخ خبير التجميل: «اصمتي، جاكوبا!».

تجاهله زولتان، وسألها: «إذاً، ألست تخططين لتصبحي أميرة، وتضعي مثل هذا التاج يوماً؟».

قالت بدون أي اهتمام: «لا».

كانت هذه بداية يوم طويل جداً. بقيت جاكوبا منتظرة ظهور ماركو، وشعرت بالاحباط والأمان معاً لأنه لم يظهر. التصوير مع شين كان أمراً مختلفاً جداً، فهي تمثل معه، أما مع ماركو فتبدو ردة فعلها يائسة بسبب تأثرها بسحره الرائع وجاذبيته القوية. استعملت ذاكرتها لتستعيد ما شعرت به بين ذراعي ماركو وهما تحيطان بها، وردّة فعلها وشعورها عندما كان يبتسم لعينيها. لابد أن الأمر نجح، ففي وقت متأخر من بعد الظهر طلب زولتان من الجميع التوقف عن العمل.

- هذا كل شيء اليوم، أيها الشبان والشابات. انتهى المرح.

حدق للحظة بجاكوبا، قبل أن يتابع بنبرة ماكرة: «أو ربما بدأ للتو، بالنسبة لمن هم ذاهبون للسهر والسمر».

شعرت جاكوبا بوخز حيث الشعر القصير في مؤخرة عنقها. لم تستدر، لكن جسدها انكمش ما إن شعرت بأحدهم يقترب منها على مهل ومن دون أي ضجة. نزعت القفازين الطويلين، ووضعتهما على طاولة قريبة منها، وهي ما زالت ترتدي ثوب السهرة القرمزي. اقترب ماركو بقامته الطويلة، وتوقف على بعد خطوات منهم. كان وجهه الوسيم يلمع تحت بريق الأضواء القوية وهو يقول: «هل انتهيتم؟».

أجاب زولتان: «انتهى العمل، وأعتقد أن الفيلم المصور سيعجبك. جاكوبا وشين يعملان معاً كفريق، وكأنهما ينشران الشرر في كل مكان».

قال ماركو بنبرة عادية وبلا اهتمام: «هذا ما أتمناه».

بدت عيناه باردتين، حتى إن جاكوبا شعرت برجفة تعتريها عندما نظر إليها. تابع ببرودة: «هذا في النهاية السبب الذي أدفع لهما من أجله مبلغاً طائلاً ولك أيضاً».

رد زولتان بسرعة: «بالطبع. حسناً! إن كنت تعذرني، فمن الأفضل أن أذهب لأراقب بعض الأمور».

تمكنت جاكوبا من الابتسام له بمهنيتها المعهودة، بينما كانت عيناها تحذران الأمير من الاقتراب منها. لمعت عيناه بالمرح، لكن لم يظهر ذلك على فمه، وقال: «كم تحتاجين من الوقت لتصبحي جاهزة؟».

أدركت أن كل من حولهما يصغي إليهما ولو بشكل خفي. أجابته بتثاقل، متمنية أن يفهم الملاحظة ويرحل، لكنه لم يفعل. قال: «سأنتظرك».

غادرت جاكوبا بغضب وحذر موقع التصوير. استعادت في ذاكرتها بعض الجمل من حديثها مع ألكسا ليلة البارحة. هل تملك أمها أي سبب لتكون مصرة هكذا على إخفاء سر ولادتهما؟ هل كانت مجبرة على الهرب والاختباء معهما في الجانب الآخر من العالم؟ مهما يكن، فجاكوبا لا تريد أي علاقة مع أمير إيليريا ماركو كونسيدين. ليس فقط لأنه من إيليريا، بل لأنه يجعلها تشعر بعواطف لم تدرك وجودها من قبل، كما أنه حوّلها إلى امرأة تشعر بأحاسيس تصدمها وتثير فيها الجنون، وهذا أمر لا تريده. إن لم يكن ماركو مستعداً للتعامل معها بتهذيب مطلق، فكل ما عليها القيام به هو أن توقفه عند حده. شيء ما في أعماقها، تساءل بسخرية كيف ستتمكن من القيام بذلك. تعمدت

www.Rewity.com Breathless

جاكوبا أن تأخذ وقتها في تبديل ثيابها، متمنية أن يكون قد رحل عندما تغادر غرفتها.

خرجت من غرفة تبديل الثياب مرتدية سروال جينز وقميصاً بيضاء قصيرة الكمين. أبعدت شعرها إلى الوراء، ولم تضع من مساحيق الزينة على وجهها غير أحمر شفاه باهت. لم تفاجأ عندما رأت أنه مازال منتظراً، وهو يتحدث من جديد مع زولتان. رفع ماركو نظره في اللحظة التي ظهرت فيها. قال شيئاً ما للمخرج قبل أن يسير نحوها بخطى واسعة وبتصميم قاهر. ركز نظرات عينيه الزرقاوين على وجهها، كأنه يعلن فوزه بجائزة النصر في الحرب. اعترتها رجفة بسبب خوفها من شر مرتقب، وهذا ما جعلها تهدأ لأنهما كانا تحت المراقبة من العيون الفضولية، وسمحت لنفسها أن تبتسم له بتحفظ. سألها وهو يسير برفقتها نحو المخرج: «كيف تتمكنين من أن تبدي بكامل أناقتك وأنت ترتدين سروال جينز وقميصاً قصيرة؟».

أجابته ساخرة: «إنه الزي الرسمي لكل العارضات، كذلك الحقيبة الكبيرة».

حدق بالحقيبة المتدلية من ذراعها، وقال: «ما الذي تحملينه فيها، ما تبقى من خزانتك؟».

اعترفت قائلة: «تقريباً».

في تلك الأثناء أصبحا في الخارج. سألته بمنتهى الصراحة: «ما الذي تريده مني؟».

رفع حاجبيه مجيباً: «نحن ذاهبان لتناول العشاء».

القوة الواضحة في نظرته جعلت قلبها يعتصر بألم في صدرها. قالت بحذر: «لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة».

لم يتظاهر ماركو أنه لا يعلم عما تتحدث، بدلاً من ذلك ضغط بأصابعه على ذراعها ما إن اقتربا من حافة في الرصيف.

- أريد أن أعتذر عن تصرفي الأخرق البارحة.

قالت جاكوبا: «اعتبر الأمر منتهياً. أنا آسفة أيضاً، ما كان علي أن أدع الأمور تصل بيننا إلى ذلك الحد».

قال مقترحاً وهو يخفف من ضغط يده: «أخبريني بذلك أثناء العشاء».

- لا! لا أريد الذهاب معك إلى أي مكان.

أخيراً، تفوهت بذلك. تلك الكلمة مع بشاعتها الواضحة بقيت معلقة بينهما لفترة.

قال بهدوء: «أعتقد أن عليك القيام بذلك».

سمعت شيئاً ما في نبرة صوته جعلها تجفل، وهو يتابع: «حتى الآن تصرفت باحتراف لدرجة الكمال، فلماذا تبدأين بالتصرف وكأنك تعملين للمرة الأولى في مجال الإعلان؟ قد يعود الأمر عليك بالسوء».

قالت تواجهه بقدر ما تستطيع من شجاعة: «بدا لي الأمر كتهديد لا كدعوة، مما لا يجعلني أشعر بالراحة».

أجاب بنعومة: «من الواضح أنك نسيت، لذا سأعمل على إنعاش ذاكرتك. لدينا موعد عشاء على اليخت، يتبعه حفل استقبال ورحلة بحرية على المرفأ مع عدد من الناس لا يقلون عن المئة».

- أنا لم أوافق على ذلك.

توقفت عن متابعة ما تفكر به، لتسأله:

- أهذا موعد عمل؟.

- بالطبع.

قطب ماركو جبينه، وتابع: «تم الاتفاق في اللحظة الأخيرة دون طلب موافقتك، لكن كان يجب أن تعلمي بذلك. ألم تتصل بك وكيلة أعمالك؟».

عضت جاكوبا على شفتها قبل أن تقول: «ربما تكون قد أعلمتني

www.Rewity.com Breathless

عبر الفاكس هذا الصباح، أو عبر البريد الإلكتروني. لكنني لم أتأكد من أي شيء قبل أن أغادر صباحاً».

كان عليها أن تهرب كما يهرب الغزال في الجبال، وبدلاً من ذلك، ها هي تقع في المصيدة.

بدت المدينة الصناعية مضاءة بالحياة والألوان. ولم تفاجأ جاكوبا على الإطلاق عندما انعطفا نحو زاوية، ووجدت أمامهما حديقة ورود قديمة، سياجها صدئ، لكنها مليئة بالأزهار المتفتحة والورود الحمراء. وجدا سيارة بانتظارهما في الموقف، والسائق يجلس بصبر في داخلها. قالت: «لا أستطيع الذهاب وأنا مرتدية هذه الثياب العادية».

قال وشيء من السخرية في نبرة صوته: «بالطبع! الثياب الملائمة بانتظارك في اليخت».

تأكدت أنهما بعيدان عن سمع السائق داخل السيارة. توقفت جاكوبا وركزت عينيها عليه بنظرة غاضبة. سألته بعناد: «كيف حدث ذلك؟».

- مصممة أزياء شهيرة خاطت لك الثياب. إنها تعرف مقاسك جيداً، لذا هي تملك فستاناً يناسبك، كما أن فريق عملها أوجد لك كل الأشياء الإضافية من أكسسوار ومجوهرات. أنا متأكد أن لديك كل ما أنت بحاجة إليه للتبرج في حقيبة يدك هذه.

مع أنها مولعة بالعناية ببشرتها، غير أن جاكوبا لا تضع مطلقاً مساحيق الزينة إلا أثناء العمل. ومهما يكن، فهي تؤمن أنها يجب أن تبقى مستعدة لأي شيء. قالت على مضض: «هذا صحيح».

بعدئذ سارعت بالصعود إلى السيارة.

ما إن ابتعدت السيارة عن الموقف حتى قال لها ماركو: «هناك الكثير من الاهتمام بالفيلم المصور، ومع قدوم أسبوع الموضة، قررنا أن نركز على بدء الحملة الإعلانية من هنا، إن كنت لا تمانعين».

هذا أمر طبيعي ومنطقي.

بدا اليخت كبيراً جداً، لاحظ ماركو أنها تنظر حولها باهتمام، وهما يسيران على الرصيف المؤدي إلى ظهر اليخت. قال: «هذا اليخت ليس لي، فأنا أفضل القوارب الشراعية. هذا اليخت صنع لرجل يرغب في الاسترخاء».

توقف قليلاً قبل أن يتابع: «في الواقع، إنه لزوجته وأصدقائها أكثر مما هو له».

نبرة صوته أدهشتها. رفعت نظرها إلى وجهه القاسي الذي كان يشع من خلال أنوار الفندق وراءهما. بدا الازدراء بوضوح على ملامحه.

الأمير ماركو كونسيدين رجل مثير للاهتمام. ولد ونشأ في حياة باذخة، مع ميراث كبير لأمراء من سلالته، كما أنه رئيس شركة ضخمة، مع ذلك يبدو بوضوح أنه لا يشبه أولئك الذين ينغمسون في حياة الثراء وإظهار ثرائهم في كل ما يفعلونه.

ضبطها وهي تنظر إليه. ضاقت نظرة عينيه وضغط على فمه بشدة. إحساس بالتوتر سيطر عليها ما جعلها تتعثر، ومدّ ماركو يده وأمسك بها قبل أن تقع، وللحظة اتكأت جاكوبا على جسده الرشيق الكبير. قوة ردة فعلها صدمتها. اتسعت عيناها من الدهشة، وتصلب جسمها بقربه. ضغط بيديه على ذراعيها قليلاً وقال بمكر: «الآن، جاء دورك».

www.Rewity.com Breathless

٥ - تهديد مبطن

إحساس لا يرحم بالشوق سيطر عليها، وإن كان كل ما يحتاج إليه ليخترق دفاعاتها هو مجرد لمسة عادية، فلابد أنها في خطر حقيقي. أدركت جاكوبا أن غريزة التملك لديه أمر وراثي، كما أدركت أنه لن يعانقها. قال لها إنه سينتظر حتى تأتي إليه بنفسها، والثقة الواضحة بالنفس التي تشع من عينيه تعلمها أنه متأكد من الحصول عليها في النهاية. احتاجت إلى كل ما لديها من كبرياء وإرادة لتقول: «دعني أمضي، من فضلك!».

تركها ماركو على الفور، لكن عندما قادها نحو غرفة استقبال واسعة أنيقة، شعرت كأنه يأخذها نحو فخ مجهول. قال للخادم: «من فضلك! خذ السيدة سنكلير إلى الغرفة الرئيسية التي أُعدت لها».

هزّ الرجل رأسه، وقال: «من هنا، سيدتي».

تنهدت جاكوبا بصمت وارتياح، ثم تبعت الخادم إلى غرفة أخرى أكثر زخرفة وبذخاً. قال وهو يشير نحو زر الجرس: «إن احتجت إلى أي شيء، من فضلك اضغطي على الزر، وستأتي الخادمة لتلبية طلباتك».

- شكراً لك.

ما إن غادر الرجل، حتى حدقت بالثياب الملقاة فوق السرير. مصممة الأزياء المفضلة لديها تفوقت على نفسها: ثوب سهرة من لون شعرها، قفازان طويلان، حذاء ذو كعب عال، غير عملي بالمطلق لكنه

مصمم ليظهر أناقة كاحليها وصغر قدميها. ابتسمت جاكوبا بضيق، وهي تتذكر أصوات الآلات التي تضج في هواء المنطقة الصناعية. على طاولة الزينة رأت زجاجة عطر أغرتها لتتنشق عطرها، إنها عطر مستخلص من الورد يحمل أثراً خفيفاً لرائحة مثيرة نادرة. لم ترَ على الزجاجة ما يشير إلى اسم العطر أو مصدره. من المؤكد أن هذا العطر هو موضوع الحملة الإعلانية كلها. رشت من الزجاجة على رسغيها، وانتظرت للحظات قليلة، ثم قربت يدها من أنفها؛ رائحة مثيرة وغنية! إنها تشبه بشكل ما رائحة البخور، لكن عطر الورد منحها دفئاً رومنسياً تغلغل في أحاسيسها وهي تضع مساحيق الزينة على وجهها. المناسبة تتطلب منها تصفيف شعرها. وتركته ينسدل على ظهرها. طرقة خفيفة على باب الغرفة الرئيسية دفعتها لترفع كتفيها. شعرت بقلبها يضطرب في صدرها، لكنها سارت بثبات نحو الباب لتفتحه.

مميز كالعادة بثياب السهرة! وقف ماركو خارج غرفتها برفقة حارس يحمل علبة مخملية بين يديه. قال بسخرية عندما ترددت، ولم تبتعد عن الباب: «إنها مجوهرات «بلينغ»، وقد وصلت مباشرة من لندن».

نبرة صوته الساخرة لم تشابه اللمعان المفاجئ الذي ظهر في عينيه وهو يحدق بها. جالت عيناها على الإسم الشهير على العلبة التي يحملها، وقالت: «تفضلا».

قال ماركو للرجل الذي يرافقه: «انتظر هنا».

بدا الحارس كأنه راغب في الاعتراض، لكن نظرة واحدة إلى وجه الأمير أوقفت ما كان يفكر في التلفظ أو القيام به. السلطة الطاغية التي تظهر بدون أي مجهود تبدو مناسبة لماركو، تماماً كدماغه المتفوق وسحره الأخاذ، وكلها أسلحة ماضية لبناء دفاعاته القوية التي لا تُقهر. قال وهو يفتح العلبة: «القرطان على ما أعتقد، أو ربما السوار أو الخاتم».

www.Rewity.com Breathless

أجابت بهدوء: «أتمنى ألاّ يكون هناك مجال لارتداء التاج».

- ليس في هذه المناسبة.

تفاجأت عندما وضع الخاتم ذا الحبة الماسية الكبيرة في إصبعها. من دون أن تنظر إليه حملت القرطين. بدا واضحاً أنهما صمما ليتناسبا مع الخاتم. حبوب الماس مرصوصة في شكل نصف دائري، ومنها يتدلى حجر كريم على شكل قلب. بدا القرطان رائعا الجمال لدرجة أنها رمشت بعينيها لتتأكد مما تراه.

قال ماركو بنبرة جعلتها ترفع رأسها بسرعة لتنظر إليه: «اختيار جيد يدل على ذوق رفيع».

عادت لتحدق في المرآة، ورفعت القرطين وقربتهما من أذنيها بيدين مرتجفتين. وقف وراءها، فبدا طويلاً جداً، وبدت جاكوبا صغيرة ورقيقة جداً قربه. شعرت بالقرطين ثقيلين وباردين في يديها، تماماً مثل العينين الزرقاوين اللتين تنظران إليها بشغف. قال ماركو وهو يقلب شفتيه بسخرية: «إنهما رائعين! ابقي هادئة، وسأضعهما لك».

بدت حركة يديه رشيقة وواثقة، كما أن رائحته كانت مزيجاً من الصابون وعطر الليمون مع أثر لعطر خاص به وحده. قال وهو يتراجع إلى الوراء: «ها قد انتهينا».

ضاقت عيناه وهو يحدق بها بنظرة تقييمية، ما جعلها ترتجف وتحس بقشعريرة في جسدها، لأنها منجذبة إليه بشكل لا يقاوم.

- من المؤكد أنك لست بحاجة إلى تأكيدي بأنك تبدين فاتنة.

ابتسامته الهادئة زادت من قلقها، فيما تابع يقول: «جذابة وفاتنة ومع ذلك مهذبة ولبقة. هذه الماسات ستجعل كل امرأة تراك تأمل أن ينتقل إليها شيء من هذا التوهج والسحر البادیین عليكِ إذا ما اشترت هذا العطر. سوف تساهمين في بيع ملايين الزجاجات منه».

- لهذا السبب استخدمتني. أحاول أن أعطي العمل كل ما يستحقه لإنجاحه.

علقت بذلك بضيق، ثم سارت لتخرج من الغرفة، فيما رفعت رأسها عالياً، ما جعلها تشعر بألم في عنقها. وصلا إلى صالة الاستقبال الفخمة، وراقبته جاكوبا وهو يسكب لهما شراباً. للحظات قليلة، تمكنت من الإعجاب ببذلة السهرة التي تظهر كتفيه العريضتين ورشاقة جسمه. رفع ماركو كوبه، وقال: «هذا نخب نجاحنا المنتظر».

بالطبع! هو يتكلم عن الحملة الإعلانية. مع ذلك، شيء ما في نبرة صوته وفي عينيه، أضاف موجة جديدة من الحرارة إلى بشرتها. قالت بنبرة طبيعية: «النجاح مغامرة كبرى، فكيف إن كان من أجل عطر جديد».

- ما تقولينه صحيح، لكن هذا العطر سيحقق النجاح المنتظر. هل أعجبك؟

- إن كان ما تعنيه هو العطر الذي وجدته على طاولة الزينة في غرفة النوم الرئيسية، إذاً أجل! أحببته كثيراً. ما اسمه؟

رفع كتفيه، وأجاب: «لسبب ما، يعتقد وكلاء الدعاية والإعلان أنها ليست بفكرة جيدة البوح بالاسم الآن. هل نتناول العشاء؟».

لاشك أن هناك غرفة طعام تماثل غرفة الاستقبال بالأناقة والترف على متن اليخت، لكنهما تناولا العشاء في غرفة أصغر أكثر حميمية. نظرت جاكوبا إلى الطبق أمامها بعدم شهية. عادة ما تكون قابليتها للطعام جيدة، لكنها الآن هجرتها. سألها ماركو مستغرباً: «ألا يعجبك الطعام؟».

- بلى! إنه شهي.

ملأت شوكتها بقطعة من التونة، وأجبرت نفسها على مضغها وبلعها بصعوبة. نظر إلى كوبها الذي لم ترشف منه إلا رشفة واحدة، وقال: «هل من خطب في الشراب؟».

أجابت جاكوبا بصدق: «من النادر أن أشرب وأنا أتناول الطعام».

www.Newity.com Breathless

رفع ماركو حاجبيه، وقال: «أنت امرأة حكيمة. هل لديك أي عادات سيئة؟».

للحظة اعتقدت أنها سمعت ما قاله بطريقة خاطئة، لكن ملامح وجهه الرائعة أخبرتها أنه تفوه بالكلمات بهدوء وثقة، فما الذي يقصده؟ هل يقصد أموراً مشينة؟ قالت بنبرة باردة وبازدراء: «لا».

- خبر جيد.

حدق إلى عينيها بنظرته الثاقبة، واستمر في النظر إليهما لفترة طويلة. لو أنها كذبت عليه، كان ليعلم بذلك. إنه رجل خطير بالفعل. قالت جاكوبا بتأنٍ: «ماذا عنك؟».

شعرت بالرضى عندما ظهرت الدهشة على وجهه، لكنه استعاد تماسك أعصابه وهدوءه بشكل فوري. قال بنبرة جافة: «لا! أعترف أنني كنت أسرف بالشراب عندما كنت يافعاً وأحمق في الجامعة، لكن هذا كل شيء. أنا أفضل أن أعمل بجهد وبصفاء ذهني طبيعي».

هزت رأسها، وعلقت بنعومة: «والآن بعد أن تفاهمنا على ذلك، عمّ سنتحدث؟».

- اختاري أنت؛ نجمك السينمائي المفضل، الموسيقى التي تفضلينها، أو مصمم الأزياء الأفضل؟

لابد أنه - كمعظم الناس - يعتقد أنها سطحية، ولا تملك سوى وجهاً تعشقه عدسة آلات التصوير.

أخبرته جاكوبا عن آخر كتاب أنهت قراءته منذ أيام قليلة فقط، وتبين أنه قرأه أيضاً، ولديه أفكار هامة بشأنه. بعد مرور خمس دقائق أدركت أنها تستمتع بوقتها، بسبب مواجهة آرائها مع ذكائه الخارق وإجاباته السريعة. إنه مثير للاهتمام! بل أكثر من ذلك، إنه يأسرها بوجهات نظره التي يعبر عنها بذكاء حادٍ وبسرعة. وجدت نفسها تضحك بسبب تعليقه المحكم عن شخص قابلته سابقاً، ولم تعجب به. شعرت معه بالحماس

وبالحياة يتدفقان في عروقها أكثر من أي وقت مضى، وبأن تلك السيطرة المحكمة والتحفظ الدائم قد انزاحا عنها. مع ذلك أحست بالألم بسبب الانجذاب الطاغي الذي تشعر به نحوه.

هذا ليس عدلاً! إنه يمثل كل ما يجب أن تتجنبه... إنه يمثل تهديداً أساسياً لسلامة فكرها، فهو شخص لا يرحم، وهي تتوق إليه لدرجة أنها تشعر بجفاف في حلقها. نظر ماركو إلى ساعة يده، وقال: «لدينا عشر دقائق قبل أن يبدأ الضيوف بالوصول. هل تريدين أن تصلحي زينتك؟».

تمسكت جاكوبا باقتراحه بفرح واضح. نهضت على الفور، وهي تقول: «بالطبع، من الأفضل أن أفعل».

إنه دائماً شديد اللباقة. نهض في الوقت نفسه، وللحظة أصبحا متقابلين وجهاً لوجه عبر الطاولة مثل عدوين. قال وعيناه تجولان على وجهها: «لست بحاجة إلى ذلك، تمكنتِ من تناول الطعام من دون أن تخسري أي أثر لأحمر الشفاه عن شفتيك، كما أن شعرة من شعرك الأحمر الرائع لم تغيّر مكانها».

قالت جاكوبا بحزم: «سأتأكد من ذلك بكل الأحوال. أفترض أنك تريدني أن أضع المزيد من العطر؟».

- بالطبع!

هربت جاكوبا، وهي تتساءل ما الذي حدث لقطع ذلك الانسجام الواضح بينهما، والذي اعتقدت بوجوده أثناء تناول العشاء. لاشيء! لأن ذلك لم يحدث أبداً. الأمير ماركو كونسيدين رجل ذكي، يتحلى بسلوك مهذب جداً وقدرة على إسعاد النساء، وقد تمكن من استغبائها، لتظن أنها تمكنت من تأسيس نوعٍ من الألفة والوئام بينهما. آه! إنها غبية بالفعل لمجرد التفكير بذلك. ربما رأى ما الذي يحدث، وهذه هي طريقته لإبعادها وتحذيرها. بخجل وضيق أضافت طبقة من أحمر

www.Rewity.com Breathless

الشفاه، ثم مررت يديها فوق شعرها، وقامت بسكب المياه الباردة على رسغيها لتتمكن من تهدئة تدفق الدماء الحارة في عروقها، ثم رشت كمية إضافية من العطر.

عادت إلى صالة الاستقبال، بعد أن رسمت ابتسامة على شفتيها، محاولة تجاهل دقات قلبها المتسارعة. ما إن دخلت، حتى سمعت أصواتاً آتية من الممر الخارجي. أمسك ماركو بذراعها، ومع أن لمسته بقيت خفيفة لدرجة أنها بالكاد تشعر بها، فقد شعرت بحرارة قوية تندفع في عروقها. ابتسم لها، فشعرت بقلبها يقفز إلى فمها. قال بنبرة مليئة بالإعجاب: «تبدين رائعة بشكل لا يصدق».

أخفت سعادتها بسبب إطرائه، وقالت: «وكيف هي رائحتي؟».

عندما رفع حاجبيه، أضافت: «العطر هو السبب الوحيد لكل هذا المجهود في النهاية».

تحرك حاجباه بسرعة، ليقطب جبينه ويقول بنبرة ناعمة كالحرير: «دون أدنى شك».

اقتربت الأصوات منهما، وبدا واضحاً أن الحشد قد اعتلى ظهر اليخت. تابع ماركو بنبرة آمرة: «ابتسمي، وأظهري تجهماً أقل».

أهي متجهمة؟ رمته بنظر ضيق وغضب، فضغطت أصابعه للحظة على مرفقها، وهو يديرها لتلاقي أول الضيوف. بالطبع، هي تعرف العديد منهم. تمتمت بعد أن رحبا بأحد الممثلين، وقد نسيت تماماً كم كانت غاضبة من الأمير: «يفاجئني عدم حضور زولتان».

أجاب ماركو ببرودة: «سيحظى بفرصة ليشعر بمجده في العرض الرسمي للعطر في لندن».

دخلت أربع عارضات بلياقة ورشاقة، أرسلن لها قبلاً في الهواء كالعادة قبل أن ينظرن إلى ماركو من تحت رموشهن. شعرت جاكوبا بسعادة صادقة، ما إن تجاهل نظراتهن المتفاجئة. إنه مميز جداً، فقد

عرّفها على الأشخاص القلائل الذين لا تعرفهم، وأدخلها في الحوارات الدائرة بينهم. مع ذلك شعرت طوال الوقت أنه يمتلكها بثقة وببرودة، ما يبعد أي رجل آخر عنها. آخر الوافدين هما زوجان من اليابان، اعتذرا عن تأخرهما لأنهما كانا يشاهدان بإعجاب شجيرات البونسيه. قالت جاكوبا وهي تبتسم لهما: «أحقاً؟ أمي كانت مولعة بتلك الشجيرات، وكان لديها بعض النماذج الرائعة».

تمنت على الفور لو أنها لم تقل شيئاً عن إيلونا. أبقت نظرها على وجه المرأة الناعمة الملامح التي تحدثها، وأنهت كلامها قائلة: «... لكنها كانت مجرد مبتدئة».

أشرق وجه الزوجين، وجعلاها تعدهما بأن تزورهما لرؤية مجموعتهما النادرة، عندما تزور بلادهما. قال الأمير ما إن ابتعد الزوجان اليابانيان: «عليك أن تقومي بزيارتهما. أنصحك بذلك».

رمته بنظرة باردة، وعلقت: «هذا ما أريده بالفعل، فهما رائعان».

ابتسم لها ابتسامة سريعة مليئة بالإعجاب والتقدير، أدفأت قلبها الأحمق، قبل أن يقول: «كلام مؤثر».

ظهر حارس الأمن عند الباب ووقف منتظراً. أحنى ماركو رأسه، وهو يقول: «هذا كل شيء. يمكننا الانطلاق الآن».

تضاعف صوت المحركات، وعلى الفور بدأ اليخت بالابتعاد عن الرصيف البحري. تمنت جاكوبا لو أنها تحظى ببعض الراحة وبالابتعاد عنه، لكن ماركو لديه أفكار أخرى مختلفة. سار برفقتها منتقلاً من مجموعة إلى أخرى، واضعاً يده على ظهرها بحركة تدل على التملك. ولسبب ما كان مصمماً على أن يعطي انطباعاً بأنهما أكثر من زملاء عمل. ومع أنه يجعل نبضها يتسارع والدم يتدفق في عروقها كالطوفان، إلا أنها لا تثق به. فكرت جاكوبا بحزن أن جسدها وقع أسيراً له بالفعل، وكل ما لديها الآن لتدافع عن نفسها هو عقلها الواعي ووعدها لأمها.

www.Rewity.com Breathless

ما إن طالت السهرة وبدأ القمر يظهر بوضوح أكثر، حتى هدأت مخاوفها بسبب قوة تأثيره وشخصيته المميزة. راحت تتحدث وتضحك وتصغي، ووجدت نفسها تميل نحوه بشكل طبيعي. عندما استدار اليخت وبدأ رحلة العودة نحو المرفأ كانت لا تزال بقربه. قالت: «سأعود بعد قليل».

نظر إليها ماركو بلمحة سريعة، وهز رأسه موافقاً، ثم استدار ليكمل حديثه مع الرجل الذي يقف قبالته. تلك الحركة السريعة من رأسه كان إذناً لها بالمغادرة. ارتجفت من الغضب، وهي تسير نحو حجرة المرحاض. من يعتقد نفسه بحق السماء؟ إنه متكبر متعجرف... وغد لا يحتمل!

وجدت الحجرة فارغة تقريباً إلاّ من امرأة لاحظت أنها كانت برفقة مستثمر ثري. أومأت برأسها لجاكوبا باستخفاف، وهي تتابع تخطيط شفتيها المنتفختين ووضع أحمر الشفاه عليهما بعناية ودقة. وضعت المرأة أحمر الشفاه في حقيبة يدها الصغيرة المرصعة بالجواهر وهي تقول: «هل هذه الماسات حقيقية؟».

تفاجأت جاكوبا، لكنها قالت بتحفظ: «لم أسأل. لماذا؟».

ابتسمت المرأة بسخرية وعلقت: «لا يمكن أن تكون كذلك، وإلا لكان حارس الأمن هنا معنا. مع أنها تبدو جيدة في الواقع. أنتِ تقومين بدورك بمنتهى المهارة. أليس كذلك؟».

نظرت إليها جاكوبا باستغراب، فتابعت المرأة: «جعلت الأمير مرتبطاً بك وكأنه مشدود بأسلاك نحوك. مع ذلك، تذكري أنه مشهور بعلاقاته الغرامية القصيرة المدى. احصلي على كل ما تستطيعين الحصول عليه منه، وتأكدي أن ما تأخذينه بأمان في المصرف».

قالت جاكوبا بتهذيب وهي تجفف يديها: «شكراً لك».

قالت المرأة بنبرة خشنة: «مهما كان ما تفعلينه، لا تعتقدي أنه

يحبك، فأمثاله لا يتزوجون نساء مثلنا».

حدقت جاكوبا بها، وبدأت بالقول: «أنا لا...».

قاطعتها المرأة على الفور قائلة: «كنت أراقبك. أنت واقعة في غرامه. تباً! أنا لا ألومك، فهو رائع لدرجة الحلم. أعرف أنك لا تصدقينني، لكن هذه هي الحقيقة. الرجال أمثاله يستعملوننا، ويدفعون ثمناً لذلك، وبعد أن يسأموا منا يرموننا في أكوام الركام».

سارت المرأة مبتعدة لتخرج من الحجرة، تاركة جاكوبا تشعر بالأسى الشديد عليها. لا يهم ما هي عليه الآن، لا بد أنها كانت شابة مغرمة، ودارت الأمور عليها، مسببة لها الألم الشديد لدرجة جعلتها تعطي نصيحة لامرأة لم تعرفها من قبل.

أثناء عودتها اعترض طريقها صحافي يكتب مقالات عن أخبار المجتمع في أشهر المجلات التي تتناول أخبار المشاهير في نيوزيلندا. العديد من الناس يخشون جورجي بوردر، أما هي فتعلم أنه يكرهها، وهي تعرف السبب. منذ عدة سنوات، رفضت جاكوبا إقامة علاقة غرامية معه، لكن رفضها آلمه، فأصبحت منذ ذلك الوقت خصماً يثأر منه ويصب عليه انتقامه. قال جورجي وهو يبتسم ابتسامة مهنية: «تبدين رائعة. أهذه الرائحة المميزة هي العطر الذي تدور هذه الضجة حوله؟».

قالت بتحفظ، وهي تبتسم: «لا أعرف!».

مال إلى الأمام، والتقط يدها. رفعها إلى فمه بالرغم من مقاومتها، ليتنشق العطر فيما يتظاهر بتقبيل يدها. ضمت جاكوبا يدها الأخرى على شكل قبضة، لكنها لا تستطيع أن تضربه الآن... ليس هنا، وهو يعرف ذلك. تمتم: «هممم!! إنه مشبع ومكثف قليلاً بالنسبة إلى ذوقي. أنت -كما يعلم الجميع- ملكة البرودة بعيداً عن صديقك المعتاد، لكن ما رأي هوكي القوي بما يجري بينك وبين الأمير؟».

قالت بنبرة جليدية: «لا تعليق. دعني وشأني. إن لمستني مرة ثانية

www.Rewity.com Breathless

سأقدم شكوى بحقك بالاعتداء علي».

- لن تجرؤي على ذلك.

- أنا أجرؤ.

قاطعهما صوت عميق قاسٍ كالفولاذ من وراءهما. أسقط جورجي بوردر يدها وكأنها أحرقته. إحساس شديد بالارتياح سيطر على جاكوبا، تبعه على الفور خوف طاغٍ. استدارت، فرأت أنه يراقب الرجل الآخر بنظرات ثاقبة وماكرة. قالَ الصحافي وقد علا وجهه احمرار غريب: «لا داعي للقلق. نحن صديقان قديمان. أليس كذلك، جاكوبا؟».

- إذاً لماذا طلبت منك أن تترك يدها؟

قال بوردر ونبرة صوته ممزوجة بالحسد المر والغضب: «ربما هي قلقة بشأن الخاتم الماسي الذي تضعه في إصبعها، لكنني لا أسرق».

صمت ماركو بدا نذير سوء. نقل الصحافي نظره بين جاكوبا ووجه الأمير الغاضب، ثم رفع كتفيه وقال «حسناً! ما دمنا هنا، هل لدي أي فرصة في الحصول على مقابلة؟».

أعاد نظره إلى وجه جاكوبا، وتابع: «على حدة؟ أم كلاكما معاً؟».

قال ماركو ببرودة: «لا! ليس الآن، ولا في المستقبل... واحتفظ بيديك على جانبي جسدك».

رفع بوردر كتفيه وقال: «لا أحد يلوم الرجل على المحاولة».

لكن نظرة عينيه إلى جاكوبا بدت كأنها تعد بالانتقام والثأر.

- أنا أفعل.

ارتجفت جاكوبا. لم يكن على ماركو أن يتفوه بأي تهديد، فهو رجل يمكنه تحقيق كل ما قرر القيام به.

٦ - ما هو الثمن؟

بعد فترة قصيرة من الصمت، تراجع الصحافي إلى الوراء وهو يرفع كتفيه. قال وهو يحدق بجاكوبا متعمداً: «إذاً، عليّ أن أعد مقالي من المعلومات التي حصلت عليها بنفسي».

ارتجفت جاكوبا ما إن لمحت أثراً لانتصار لا يرحم في ابتسامته. مع أن ماركو هدده، لكن الوقت ليس مناسباً الآن لمحاسبته. تجاهله الأمير، وابتسم لجاكوبا وهو يقول: «علينا أن نتحدث مع الحضور».

ثم سار مبتعداً برفقتها. عندما أصبحا بعيدين عن سماع بوردر، تمتمت بنبرة قلقة: «إنه يكتب مقالات الشائعات والثرثرة عن المشاهير. معظم الناس يحاولون اتقاء لسانه، لأنه بارع في نبش الأقذار. ليس من الحكمة إغضابه، فهو عدو خطير».

قال ماركو بهدوء، وبدون أي تأثر:

- وإن يكن، فأنا كذلك.

بالطبع، لن يخبرها ماركو أن إحساساً عنيفاً من الغيرة العمياء صدمه، منذ اللحظة التي رفع نظره فيها، ورأى بوردر يطبع قبلة على يدها. لم يشعر يوماً بالغيرة، ولم يحدث له ذلك أبداً... لكنه لم يثق يوماً إلى امرأة لا يستطيع الحصول عليها. فكر بضيق، لابد من حدوث أول مرة لكل شيء. حدق في وجه جاكوبا الفاتن الجميل الساكن، لكنه لم يكن هادئاً وصافياً الآن، فهي تنظر إليه وقد عقدت حاجبيها. اضطر إلى منع نفسه من معانقتها لإبعاد ذلك التجهم عنها. تلك الرغبة القوية المحرمة بحمايتها أذهلته وأغضبته معاً.

www.rewity.com Breathless

تعمد الليلة إعطاء انطباع بأنهما رفيقان. أقنع نفسه أنه يفعل ذلك من أجل إثارة الاهتمام، ولإنشاء جو عام من التوقع والترقب في الإعلام، وأن شيئاً من هذا التوهج قد يصل إلى النساء في الشارع، فيشعرن أن هذا الجو الساحر الأسطوري مرده إلى العطر.

لكن ليس هذا هو السبب الذي دفعه للاحتفاظ بجاكوبا قربه طوال الأمسية، بل هو بصراحة لم يستطع إلا أن يفعل. جاكوبا تملك القوة لتجعله يرتد إلى طبع أسلافه الأقوياء، الذين ما زالت صورهم معلقة على الجدران في القلعة التي عاشوا فيها. لكنه رجل متحضر يؤمن بأن الحرية حق لكل إنسان، وليس مجرد أمير محارب من القرون الوسطى، فالمرأة لديها الحق الكامل بأن ترفض من تشاء دون انتظار أي عقاب أو مضايقة في المقابل. لكن جاكوبا منجذبة إليه... حدسه يخبره بذلك. اتسعت عينا جاكوبا، ونظرت إلى البعيد. تورد وجهها قليلاً وهي تقول بهدوء: «إنه لا يحبني، لذا أخشى أنك لن تحصل على إعلان جيد من خلاله».

علق ماركو بنبرة ساخرة: «تعرفين المثل القائل: «إعلان سيء أفضل من لا شيء». إن لم يكن معجباً بك، فلماذا قبّل يدك؟».

بدت نبرة صوتها متوترة وهي تقول: «إنها مسرحية يظهر فيها قوته».

عاد الدم يتدفق بسرعة إلى رأس ماركو من جديد. للحظة متهورة، وجد نفسه يتمنى لو أنه تبع حدسه الأولي، وضرب الرجل بقبضته على فكه. جاكوبا سنكلير بجمالها الراقي وشعرها الذي يشبه نهراً من النار، تستميله إليها بطريقة لم تتمكن أي امرأة من قبل أن تفعلها. مهما حاول إقناع نفسه أن ما بينهما مجرد انجذاب حسي محض. لكنه استمتع أيضاً بعقلها، مستسيغاً دقة ملاحظاتها بينما كانا يأكلان. إنها لغز حقيقي، فهو يشعر أن وراء ذلك المظهر المتحفظ شيء خفي، وسر تعمل بحذر تام على إبقائه طي الكتمان.

قال: «لِم تقولين إنه لا يحبك؟».

شيء ما في نبرة صوته جعلها تنتبه إلى الرد بدبلوماسية. أجابت بمرح: «لأهم سبب في العالم: هو غير معجب بي».

بقيت نبرة صوته حازمة وهو يقول: «أريد الحقيقة».

رفعت جاكوبا نظرها إليه، فالتقت عيناها بعينيه الزرقاوين الحادتي النظرات. قال: «لا أحب الكذب».

- وأنا لا أحب أن يتم استجوابي في أمر لا علاقة لك به.

بقيت نبرة صوته حازمة وهو يعلق: «لا علاقة لي بذلك شخصياً، لكن نجاح هذه الحملة يعتمد عليك بشكل أساسي. إن حاول بوردر إفشال الأمر والتعرض بالسوء لك، فيجب أن أعرف بذلك. إن كان لديه أي معلومات قد تظهرك بمظهر سيء، أخبريني بذلك الآن».

- لا شيء لديه ضدي.

- ما الأمر إذاً؟

قررت جاكوبا أن تعطيه قصة ملطفة عن الحقيقة. قالت: «حاول التقرب مني، وعندما رفضت ذلك، قرر أن يعطيني درساً قاسياً».

قطب ماركو جبينه بقسوة، وعلق: «لا تقولي لي إنه يلجأ إلى الثأر من كل امرأة ترفضه!».

أخفت بمهارة الارتجاف الذي حدث لها بسبب اختياره للكلمات، قالت: «لا أعرف... ربما هو يفعل ذلك».

تمتم بكلمات بلغة إيليريا جعلتها تجفل، ثم تابع: «إذاً هو شخص حقير. على الأقل أنتِ لم تستسلمي له».

بعد صمت دام للحظات، قال: «أفترض أنك لم تفعلي».

ذلك التعليق الهادئ، جعل جاكوبا تجفل من جديد بسبب القشعريرة التي اعترتها. قالت بضيق، من دون أن تنظر إليه: «بالطبع، لم أفعل».

تعمدت أن تتابع بنبرة لطيفة: «معظم الرجال يتقبلون الرفض، لكن بعضهم يصبحون أوغاداً وأنذالاً».

www.kewity.com Breathless

سألها ماركو بنبرة متحفظة: «هل عمل على مضايقتك؟».

نظرت إليه بسخرية، وأجابت: «ليس الآن، وليس أكثر من بعض الرجال».

- إن حاول مضايقتك، دعيني أعلم.

التصميم الواضح في صوته وفي ملامح وجهه، أظهر أنه يقصد تماماً ما قاله. قالت جاكوبا بصراحة وبدون تردد: «يمكنني التعامل معه. كما قلت لك، هذا أمر عادي في مجال عملنا. فالعارضات يعتبرنَ فريسة سهلة».

ضاقت نظرة عينيه، ووراء تلك الملامح الكلاسيكية الوسيمة لمحت القوة الموروثة لهذا الرجل؛ سلطة قوية مؤسسة على نزاهة صلبة كالصخر. كرر ماركو قائلاً: «أريد أن أعلم، فطوال المدة التي تقومين خلالها بالعمل في حملتي الإعلانية، أنت ضمن مسؤوليتي».

رفعت جاكوبا كتفيها، وقالت: «أنا المسؤولة الوحيدة عن نفسي. بوردر مجرد أحمق، أستطيع تولي أمره».

- هل سيعمل على مضايقتك في كتاباته؟

هذه المرة رفعت كتفيها بتعمد وبقوة أكبر، وقالت: «هذا محتمل، لكنه لا يعني شيئاً، ففي نيوزيلندا كل شخص يعرف الآخر، والجميع منشغلون بأعمالهم، ولا أحد خارج نيوزيلندا يقرأ ما يكتبه بوردر».

نظرت إليه بنظرة ساخرة وتابعت: «نيوزيلندا مجرد سوق صغير جداً. كلامه لن يشكل أي تأثير على البيع المنتظر للعطر».

سألها الأمير بتكبر: «لِم لا يعمل كندي على إيقافه عند حده؟».

رفعت جاكوبا حاجبيها مستغربة وهي تجيب: «يعلم هوكي أنني قادرة على الاعتناء بنفسي جيداً. أنا لا أخشى بوردر. لا شيء مما يقوم به يمكنه أن يسبب لي الأذى، مار...».

توقفت عن المتابعة، وكأن لسانها قد رُبط. لمعت عيناه، وقال بجدية: «كنت ستتلفظين باسمي».

قالت وهي تشعر بالخجل كأنها طفلة: «لا أعلم إن كان علي مناداتك كما ينادون الأمراء في بلادك».

قال لها: «ما ينادونني به في بلادي...».

ثم تابع باللغة الإنكليزية: «...بما معناه، سمو الأمير، لكن أصدقائي ينادونني باسمي الأول».

اعترفت قائلة:

- أنا لا أعرف أصول البروتوكول المتبع.

تساءلت جاكوبا لماذا تشعر أن لفظ اسمه هو بمثابة استسلامها له.

قال ماركو هامساً بنبرة ناعمة وكافية لتسمعها وحدها: «ناديني باسمي... تلفظي به».

- سمو الأمير، ماركو.

وجدت نفسها تتمنى لو أنها تنتمي إليه ولو أنه رجل حياتها... لكنها لا تستطيع. ومع أنه لا يعلم بذلك، فهما منفصلان بسبب ميراث لطالما كان غامضاً ومسبباً للقلق بالنسبة لها.

قال: «أنت تلفظين الحروف وكأنك فعلاً من إيليريا».

تملكها الرعب. علمت أن عليها أن تتنفس بهدوء، قبل أن تتمكن من القول: «لابد أن سبب ذلك أنني نشأت وأنا أتعلم الفرنسية كلغة ثانية».

- هذا ممكن!

قال ماركو ذلك، لكن عينيه بقيتا تراقبانها بحدة. تساءلت بخوف شديد إن كان الشحوب قد علا وجهها. أدركت جاكوبا على نحو مفاجئ أنهما عرضة للتحديق بطريقة خفية من قبل عدد من الضيوف، فقالت بهدوء: «من الأفضل أن نبدأ بالتجول من جديد».

هزّ ماركو رأسه، وأمسك بذراعها، مديراً إياها لتواجه الحشد. رأت جاكوبا نظرة الصحافي لهما، فرفعت ذقنها بسبب ابتسامته الماكرة

www.Rewity.com Breathless

الشريرة. ليقل ما يريده في مقاله السخيف، فلديها أمور أكثر أهمية من تعليقاته اللاذعة.

في الوقت الذي عاد فيه اليخت إلى الرصيف البحري وغادر آخر الضيوف، شعرت جاكوبا كأنها أمضت السهرة وهي تتلقى ضربات من مطرقة. بالرغم من تعبها، لم تتمكن من تجاهل التوقع المثير الذي ما زال يتصاعد في أعماقها. سألها ماركو ما إن أوصلها إلى غرفة النوم الرئيسية في اليخت لتبدل ثيابها: «هل أنت متعبة؟».

كانت قد نزعت المجوهرات وأعادتها إلى الحارس، الذي حملها بعيداً. قالت موافقة: «قليلاً».

- آسف لأن هذه السهرة جاءت بعد يوم متعب من التصوير، لكن المسؤولين عن الحملة الإعلانية أصروا على الاستفادة من وجودك، ما إن علموا أنك في أوكلاند اليوم.

نظر إلى وجهها، وتابع: «أتريدين الذهاب إلى الفندق سيراً على القدمين ما إن تبدلي ثيابك، أم أنك تفضلين أن أطلب لك سيارة أجرة؟».

- بل أفضل السير قليلاً. هذا سيشعرني بالراحة.

اليخت يبعد مئات الأمتار عن الفندق الذي تنزل فيه.

بدون أي مقدمات، قال ماركو: «سأغادر البلاد غداً».

خيبة أمل حادة مزقت سعادتها. حسناً! ما إن يتخلى عنها هذا الجنون، حتى تشعر بالارتياح. في هذه اللحظة، كل ما عليها القيام به هو إخفاء ذلك الاحساس المرير بالضياع والخسارة. شعرت بالفخر بسبب نبرة صوتها الهادئة المتماسكة، وهي تسأله: «هل ستعود إلى إيليريا؟».

حدق ماركو بها، وهو يجيب: «بل إلى أميركا. تعالي معي».

قالت على الفور: «لا».

لكنها تريد ذلك. آه! كم ترغب بذلك، لكنها لا تجرؤ أبداً. يبدو أن ماركو شعر بما تعانيه. ابتسم وهو يقترح عليها بنبرة خافتة: «لِم لا تستسلمين الآن، وتوفرين على نفسك الكثير من الضيق والعذاب؟».

رمته جاكوبا بنظرة متعالية، وقالت بنعومة: «أنا لا أستسلم أبداً».

رفع حاجبه بسخرية، وهو يعمل على تقييمها بنظرة مليئة بالإعجاب والتقدير. فتح باب الغرفة، وتراجع إلى الوراء لتتمكن من الدخول إلى الغرفة الآمنة. قال: «الاستسلام المتبادل لا يقلل أبداً من عزة نفس المرء، ولا ينتقص من كبريائه، بل يسهل الأمر عليه».

قبل أن تتمكن من الإجابة، أغلق ماركو الباب، وتركها بمفردها. خلعت جاكوبا الفستان الحريري، وعلقته على المشجب. ارتدت سروال الجينز والقميص القصيرة الكمين، ثم بدلت الحذاء ذا الكعب العالي بحذائها العملي المريح. لم يفارقها ذلك الشوق الذي تملكها طوال السهرة. معظم صديقاتها ما كن ليترددن في التفكير بالأمر للحظة واحدة. لكن في الواقع، أي واحدة من صديقاتها ليس لديها ماضٍ يلفه الغموض والأسرار مثل ماضيها. ماضٍ، كل ما تعرفه عنه هو موت والدها ورعب أمها الدائم من الشرطة السرية. حتى ولو كانت مستعدة للمخاطرة بذلك، فهناك ألكسا، وعليها التفكير بها. شدت بحزم على شفتيها، وغادرت غرفة النوم، وقد اتخذت قرارها بتصميم حازم وإرادة حديدية.

بدل ماركو ثيابه أيضاً، فارتدى قميصاً سوداء اللون وسروالاً أسود. بدا ساحراً في ثيابه تلك. هذه المرة، بدلاً من أن يمسك بذراعها، قدم لها ذراعه. ترددت جاكوبا قليلاً ثم مررت يدها عبرها، وعلى الفور ارتجفت من السعادة لملامسة حرارة جسده.

- أتشعرين بالبرد؟

أجابت بتهذيب: «لا، على الإطلاق! يبدو أننا مقبلون على صيف مبكر».

www.Rewity.com Breathless

- ما هي مشاريعك لهذا الفصل؟

- آه! لدي الكثير من العمل.

أبقت على نبرة صوتها الناعمة، وبتعمد أكملت بغموض: «كما أن هناك عدداً من الحفلات لأجل عرض العطر».

كانت المنطقة تعج بالناس في المقاهي والمطاعم، والعديد منهم أظهر اهتماماً واضحاً بهما، وهما يسيران عبر الشارع.

قال ماركو بهدوء: «أحب أن أراك ثانية، قبل أن تبدأ الحملة».

ساد التوتر بينهما، وارتعشت جاكوبا عندما تابع: «ليس من أجل العمل، بالطبع».

سعادة لا توصف سيطرت عليها. ابتلعت غصة لتقوي نفسها قبل أن تقول: «أخشى أن أقول إن هذه ليست فكرة جيدة».

سألها ماركو بقسوة: «لماذا؟ أبسبب هوكي كندي؟».

ترددت جاكوبا من جديد. هل تكذب عليه؟ المنطق والعقل يدفعانها للتريث والتفكير. المرأة في حجرة الملابس على حق، الرجال أمثال الأمير لا يتزوجون بنساء مثلها. عندما يحين الوقت، سيختار ماركو امرأة تتحدر من سلالة نبيلة مثله.

الزواج!! من أين أتت هذه الفكرة بحق السماء؟ رمت خلسة نظرة أخرى نحوه، وشعرت أن جزءاً عنيداً منها يتمنى بقوة لو أن ماركو يجرفها معه في عناق شغوف يجعلها تنسى كل شيء سواه. التقت عيونهما... الحرارة الواضحة في أعماق عينيه الزرقاوين منعتها من الحركة. وبدأ قلبها يضرب بقوة.

هي لا تستطيع أبداً أن تحصل عليه. مع ذلك لا تستطيع أن تكذب عليه. قالت: «هوكي هو أفضل صديق لي. عندما بدأت بعرض الأزياء كنت في السادسة عشرة من عمري، بريئة كطفلة ومن دون أي خبرة. هوكي وقف إلى جانبي، ليس فقط كصديق بل ككفيل أيضاً».

رفعت كتفيها، وتابعت: «في تلك الأثناء كان اسمه معروفاً جداً كشخص يجب التعامل معه بحذر، وعندما كنت أستعمل اسمه ومركزه، كان الرجال يبتعدون عني على الفور».

- وهل رضي أن تستخدمي اسمه بهذه الطريقة؟

لم تستطع جاكوبا أن تفهم ما الذي يقصده من خلال نبرة صوته. قالت بهدوء: «لا أعتقد أنه رأى الأمر وكأنني أستغل اسمه».

هزّ ماركو رأسه، وعلق: «وأفترض أن القصة المعروفة بأنكما حبيبان هي مجرد غطاء لأي علاقة حقيقية بينك وبين أي رجل».

قالت بلا أي اهتمام: «أجل».

- إذاً أنت لستِ على علاقة عاطفية بأحد؟

أجابت على الفور: «لا».

- ولا أنا.

منذ أن استلم إمبراطورية ابن عمه في عالم الإلكترونيات، وضمها إلى استثماراته المميزة، راح يعمل بجهد كبير لدرجة أنه غير قادر على إقامة أية علاقة عاطفية. حتى إن صحف الشائعات استسلمت، ولم تعد تذكره في صفحاتها خلال السنوات القليلة الماضية.

ضغطت على أسنانها ثم قالت: «هذا لا يشكل أي فرق».

حدق ماركو بها، وقال: «إذاً ليس لدينا وقت نمضيه سوية إلا الليلة».

استجمعت جاكوبا كل ما لديها من قوة لتقاوم ذلك الإحساس بالإغواء. قاومت بشدة لتتمكن من لفظ كلماتها: «لا، ليس لدينا هذه الليلة، فأنا لن أدعوك للدخول».

بدا التوتر واضحاً في نبرة صوتها المرتجفة.

- أنا أمكث هناك أيضاً.

تمتمت: «بالطبع! الأمر سهل بالنسبة لك، وفي متناولك».

www.Rewity.com Breathless

حدق بها ماركو، وقال بنبرة جافة: «هذا الفندق لي».

- آه! فهمت.

تنفست بهدوء، وتابعت: «أنا أيضاً لدي أسهم فيه. قل لي؛ أصحيح أنك تخطط لبناء فندق ضخم في خليج شيبريك؟».

بدا الاهتمام واضحاً في نبرة صوته، وهو يجيب: «مجلس الإدارة في شركتي ما زال يفكر بالمشروع».

بدت بالغة الرقة كأنها مخلوق من صنع الخيال، امرأة من نار وأثير، وجميلة جداً، مع ذلك فهي ليست حمقاء. حديثها أثناء العشاء أثبت أنها واسعة الاطلاع وعلى معرفة بالسياسة وبهموم العالم، كما أن معرفتها واسعة بأسواق المال. لا بد أنها ستبقى جميلة حتى آخر يوم في حياتها بسبب بشرتها الرائعة، لكنها ذكية بما فيه الكفاية لتدرك أن عملها لن يدوم إلى الأبد، وأن عليها القيام بخطوات هامة لتؤمن لنفسها مستقبلاً ثابتاً. تأثير هوكي كندي، أمر محتمل... فجأة وجد ماركو نفسه يشعر بطعنة من الغيرة، أصبحت مألوفة لديه الآن...

أقلقها صمته، فتابعت: «ستجد الكثير من المواجهة أمامك. فالسكان المحليون يشعرون بكثير من الشك حيال أي مستثمر قد يشوه جمال الخليج».

- أعتقد أننا قادرون على إقناعهم بأننا لن نشوه جمال المنطقة، بل سنعمل على إظهار جمالها وروعتها.

استدارا ليقتربا من مدخل الفندق، فسحبت جاكوبا يدها من ذراعه، وهي تقول: «إن كان مجلس الإدارة يخطط لإنشاء مبنى شبيه بهذا الفندق، فلن يكون هنالك الكثير من الاعتراض».

إنه مفتوح على المرفأ بأناقة ومهارة مثيرة للنظر، فارتفاعاته تناسب تماماً المناظر الطبيعية التي تجعل من أوكلاند منطقة ساحلية رائعة. عندما دخلا المصعد الخاص، قال ماركو: «شكراً لك. كنت ماهرة

جداً الليلة، لكن هل أنا على حق بإحساسي أنك لا تستمتعين بالحفلات؟».

قالت وهي تقطب جبينها: «عادة أستمتع بها كثيراً».

- إذاً، ما الذي حدث الليلة؟

لم تجب جاكوبا، فأدار وجهها حتى يتمكن من قراءة ما تفكر به. لامس إصبعه الطويل جبهتها ليزيل ذلك التجهم. قال بنبرة عميقة وواثقة: «أنا أعرف السبب».

ظهرت ابتسامة على شفتيه، لكنها لم تخفف من القسوة الواضحة على فمه. فكرت بحزن ومرارة، إنه مغامر وسيبقى دائماً كذلك. إحساس بالتوقع سيطر عليها وجعلها ترتجف بدون إرادة منها. رفعها ماركو بين ذراعيه، وقال: «افتحي الباب».

أطاعته، وهي تشعر بالضعف، فحملها إلى داخل الجناح، ثم توقف ونظر حوله، أطلق من فمه تنهيدة رضى عندما رأى الأريكة.

ما إن جلس على الأريكة حتى ضمها إليه، واضعاً خده على جبهتها وكأن تلك اللحظة من الاتصال البسيط بينهما سوف تطفئ شوقه الذي لم يعترف به حتى الآن. انهارت آخر بقايا مقاومة جاكوبا، فبين ذراعيه تشعر بأمان رائع لا يمكن وصفه.

بصوت مليء بالشوق قال لها: «انظري إليّ».

حدقت جاكوبا بتلك الملامح القوية الوسيمة، ذلك الامتزاج بين بشرته السمراء وشعره الأسود الداكن يبدو رائعاً.

- كيف يمكنك أن تفعلي ذلك، بحق السماء؟

تساءلت مندهشة: «أفعل... ماذا؟

ضحك ماركو ضحكة مقتضبة، تظهر استياءه من نفسه، قبل أن يقول: «تثيرين جنوني بمجرد أن تنظري إليّ نظرة واحدة. هاتان العينان الرماديتان الصافيتان الباردتان تسيطران عليّ لدرجة الجنون».

www.Rewity.com Breathless

وضعت جاكوبا يديها على كتفيه، وحدقت بعينيه اللتين تلمعان كالماس، لكن الصراع للسيطرة على شوقها إليه بدأ يخبو. أدركت أن هذا ما يحدث معه بالتحديد. رأت كيف فقد السيطرة على ذاته، وعانقها من جديد مانعاً إياها من الإجابة. همست باسمه عدة مرات وهي تمرر يدها في شعره الأسود الحريري. شعرت بقلبها يضرب بقوة، فلم تستطع أن تقول شيئاً. مع أن صوتاً عميقاً في عقلها حذرها من عدم الاستسلام لعناقه، لكنها وجدت نفسها غير قادرة على التذكر لماذا عليها الابتعاد عنه، فيما هي تذوب شوقاً إليه.

تنفست بهدوء وهي تحدق به، فلمعت عيناه، وتلفظ بكلمات بلغة بالكاد تعرفت عليها. إنه نوع من القسم أو الدعاء للحصول على القوة، سمعته من أمها عدة مرات بلغة إيليريا. أمي... فكرت بيأس، آه... أمي! أغمضت عينيها، وتمتمت بقسوة: «لا! ابتعد عني... أرجوك!».

بعد لحظة من التوتر الشديد، قال ماركو بقسوة: «أنت تكذبين! أنت تتوقين إلي تماماً كما أتوق إليك».

تورد وجهها من الخجل. وبعد لحظة من التوتر تمكنت من ترتيب أفكارها. شعرت ببرودة قاتلة جعلتها ترتجف وهي تبتعد عنه.

بدا ماركو غاضباً جداً، وهي لا تلومه، لكنها على الأقل عادت إلى رشدها. استجمعت جاكوبا شجاعتها، ونظرت إليه، أعادت رأسها إلى الوراء ورفعت ذقنها آملة أن تبدو متكبرة ومتعجرفة. وقف ماركو بدوره، فشعرت بقلبها يذوي. بدا بالقرب منها ضخماً، غامضاً ومسيطراً على غرفة الجلوس المترفة بكاملها، وها هو يحدق بها بوجه خالٍ من أي تعابير. مع ذلك استطاعت أن تشعر بقوة عواطفه المختبئة وراء تلك الملامح القاسية. ابتلعت غصة كادت تخنقها قبل أن تقول بنبرة باردة: «آسفة! لكنني لا أريد ذلك، ماركو».

رفع حاجبه بطريقة ساخرة، وقال معلقاً بهدوء: «أنت بحاجة إلى التخلص من تلك الرسائل المزدوجة في رأسك، والتي تقومين بترددها كلما كنت في موقف ضعيف».

شعرت كأنه صفعها على وجهها. في حين أنها تشعر بالاحباط من شدة الشوق إليه، ها هو يصدر تعليقات تبرهن على أنه ليس منزعجاً جداً. نظرته الباردة لم تفارق وجهها، وهي تدرك بتوتر واضح أنها غير قادرة على مجاراة عقله اللامع، فهو يبدو غير مضطرب ولا مشوش. عضت على شفتها، ثم قالت بشجاعة أكبر هذه المرة: «أنا آسفة».

كورت يديها على جنبيها، وسمعت صوتاً حازماً في أعماقها يأمرها: افعلي ذلك! اطلبي منه أن يرحل... تجرأي على صده. قالت بحزم وبصوت عالٍ: «لا أريد إقامة علاقة معك ماركو».

- لماذا؟

آه، يا إلهي! لماذا لا يتقبل الأمر ببساطة، ويرحل؟ ليس لديها أي جواب منطقي تستطيع قوله له دون أن تفضح نفسها أمامه. عندما لم تجب بعد فترة من الصمت قال بنبرة باردة كالفولاذ: «استجابتك أكثر من كافية لتجيب عنك، أم أنك ممثلة قديرة إلى هذا الحد لتتصنعي المشاعر والأحاسيس الحقيقية؟».

قالت جاكوبا بسرعة: «أفضل أن تبقى علاقتنا في إطار العمل فقط».

هز ماركو رأسه، وسرعان ما عادت صورة الأمير الحازم. إنه مهذب ومسيطر جداً على نفسه، لكنه أيضاً مسبب للرعب والخوف. سألها ببرودة: «يبدو أنني أخطأت في فهم الوضع هنا. أفضل أن يكون الكلام بيننا في منتهى الوضوح. مع أنه يبدو أنك تجدين صعوبة في قول ذلك، لكن في الواقع، عليك أن تفعلي. كم سيكلفني ذلك؟».

www.Rewity.com Breathless

٧ - لكنه عاد!

رمشت جاكوبا بعينيها، وقالت: «ماذا؟».

ما إن فهمت معنى ما قاله، حتى تدفق الغضب في داخلها، ما جعل بشرتها حمراء كالدم، ثم شحبت بسبب الإذلال المرير الذي أحست به. قالت على الفور: «إن كان قصدك ما فهمته كلامك، فأنا لست عارضة أزياء مستهترة، ولا يمكنك شرائي بأموالك».

شعرت بابتسامته تقطع أعصابها كخنجر من فولاذ، وهو يقول: «استمتعت بعينة من مهاراتك التمثيلية التي قد تشاركنا بها حتى الآن بشكل ممتاز، لهذا أنا مستعد للمقايضة».

شعرت جاكوبا بخديها يحترقان من الغضب. قالت بهدوء: «حاول أكثر الأشخاص سوءاً إهانتي، لكن أياً منهم لم يكن بمهارتك. اذهب من فضلك».

لم يضف ماركو كلمة أخرى، بل توجه بخطى واسعة نحو الباب. راقبته دون إرادة منها، وهي سعيدة بالغضب والألم المسيطرين عليها، لأنهما يخففان من شعورها بالهجران والوحدة.

استدار عن الباب، وراقبها مطولاً قبل أن يقول: «سأراك ثانية عما قريب. أتمنى ألاّ تنسي مواعيد العروض التي ستقام من أجل العطر».

قالت بنبرة جافة: «لا. كلها مسجلة على دفتر مواعيدي».

لم تصل ابتسامته إلى عينيه الباردتين. قال ينصحها قبل أن يستدير ويغادر: «تأكدي من حضورك».

أقفلت جاكوبا الباب وراءه، ثم رمت بنفسها على كرسي وهي ترتجف. أغمضت عينيها، وهي تحاول أن تمحو من مخيلتها ما يمكن أن يحدث في المستقبل. سوف يلتقيان في مناسبات عدة ومختلفة، فكيف يمكنها أن تتحمل الكره والازدراء الباردين في عينيه؟ حسناً! لن يكون ذلك أسوأ من رأيها به. فكرت بشجاعة. إنه مستعد ليدفع لها مقابل إقامة علاقة معها. كم هو مثير للاشمئزاز!

في صباح اليوم التالي، استحمت جاكوبا، وارتدت ثيابها، ثم وضعت الكثير من مساحيق الزينة على وجهها لتخفي الآثار التي تركها عذاب ليلة البارحة. سارت نحو غرفة الجلوس، ما إن سمعت طرقة خفيفة على الباب. توقع مجنون جعل قلبها يدق كالطبل وهي تفتح الباب. لكن الطارق لم يكن ماركو. بدلاً منه رأت رئيس الخدم واقفاً هناك وهو يحمل بيده سلة كبيرة من الأزهار. قال وهو يقدمها لها: «سيدتي!».

أخذت الأزهار، ولاحظت أن الزنبق البيروفي أحمر داكن اللون، ويناسب تقريباً لون شعرها. هذا يعني وبدون أي شك أن ماركو اختارها بنفسه، ولم يقدم على الاتصال بالهاتف كي ترسل لها. أم أن تلك الباقة مجرد إهانة أخرى!

قدم رئيس الخدم لها مغلفاً وجريدة الصباح، قائلاً وهو يبتسم: «هل يمكنني إحضار شيء آخر لك؟».

- لا، شكراً لك!

أغلقت الباب، ووضعت الأزهار على الطاولة، ثم وقفت تنظر بغباء إلى المغلف. مع أنه لا يحمل أي شيء إلاّ اسمها المكتوب بخط أسود سميك، لكنها علمت على الفور من الذي أرسل لها هذه التحية. عضت جاكوبا على شفتها وهي تقرأ الرسالة. إنها رسالة مختصرة ورسمية جداً، ومن دون أي شك لا يمكن التعليق عليها أو اعتبارها كإثبات.

www.Rewity.com Breathless

«سأتصل بك في لندن عندما تصبحين هناك». ووقع الرسالة بالحرف الأول من اسمه: «م».

جعدت الورقة ورمتها في سلة المهملات، لكنها عملت على استعادتها على الفور. رتبتها، وهي تبتسم بسخرية من رغبتها في الاحتفاظ بها كتذكار صغير منه.

على الرغم من أن التفكير في الطعام يصيبها بالغثيان، قامت بطلب الفاكهة والتوست مع فنجان قهوة، ثم جلست لتهدئ من أفكارها بقراءة الجريدة. وقعت عيناها في الصفحة الأخيرة على مقالة في باب الشائعات، ولاحظت اسمها بين الكلمات. شعرت بقلبها يغوص في صدرها، وبالغثيان في معدتها، لكنها أجبرت نفسها على قراءة المقالة. لدى جورجي بوردر عقل وسخ وهو مجرد وغد حقير، فكرت بذلك بغضب شديد. لكن الجملة الأخيرة التي كتبها سحبت اللون من بشرتها.

«تدور شائعات مفادها أن بين الأمير وعارضتنا المفضلة أكثر من عقد عمل، ومع أنني أعلم بما تفكرون، لكنني لا أعني ذلك، بالطبع! هناك شائعات تقول إن لعارضة الأزياء الجميلة روابط عائلية قوية بإيليريا».

همست جاكوبا وهو تقفز واقفة: «آه... يا إلهي!».

حدقت حولها، ثم شهقت مجبرة عقلها المرتعب على الهدوء والتفكير بروية. مهما كان السبب الذي أخاف أمها، فقد زال بموت الديكتاتور. إنها بحاجة إلى بحث هذا الموضوع مع شخص ليس لديه ارتباط عاطفي مع هذا الوضع... هوكي!

جلست جاكوبا، واتصلت بشركة تأجير السيارات.

وصلت إلى خليج شيبريك، وهي تشعر بحرارة شديدة. لم يكن هوكي في البيت، مع أن سياراته في المرآب. علمت أنه على الشاطئ. دخلت إلى المنزل مستخدمة مفتاحها، وقررت أن تبدل ثيابها قبل أن

تتبعه إلى هناك. بعد قليل، سمعت حركة عند مدخل المنزل، فابتسمت. تباً! لماذا لم تغرم بهوكي، بدلاً من أن تحمل له كل ما تحمله الأخت من عواطف لأخيها؟ فتحت الباب وهي تقول: «عزيزي! حمداً لله...».

لسوء الحظ، لم يكن هوكي بمفرده. من ملامح وجهه أدركت أن وجودها غير مرحب به. في الواقع، أخفى المرأة التي ترافقه وراء جسمه الضخم، كأنه يرغب بحمايتها. فكرت جاكوبا، وهي تشعر بإحساس غريب من الضيق، أنه مغرم.

قال بنبرة هادئة: «جاكوبا! ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟».

نبرة صوته آلمتها. أبقت نبرة صوتها رقيقة ومرحة وهي تقول: «عزيزي! أعلم أنني وصلت قبل يوم أو أكثر من موعدي. لم أعلم أن لديك ضيوف. آسفة!».

قال هوكي ببساطة وبنبرة مسيطرة كعادته: «فقط واحدة».

ثم قام بتعريفهما على بعضهما بنبرة ساخرة وهادئة. أخفضت جاكوبا جفونها لتخفي صدمتها. المرأة هي الأميرة ميليسا كونسيدين شقيقة ماركو الصغرى. بدا لقاؤها بشقيقة ماركو قمة الصدمات المرعبة. بعد لحظة من الارتباك والدهشة، هزت رأسها، ورسمت ابتسامة على وجهها، وهي تتمنى بشدة ألاّ يلاحظ هوكي وحبيبته ارتباكها. بتهذيب متكلف قامت هي وميليسا كونسيدين بمصافحة بعضهما. بعد مرور عدة دقائق، وبينما كان هوكي يوصلها إلى غرفة نومها، قالت بنبرة تدل على إحساسها بالندم: «آسفة! كان علي إخبارك أنني سأصل في وقت مبكر. سأتناول العشاء في غرفتي».

- لا تكوني حمقاء!

علمت من نبرة صوته أن ميليسا كونسيدين تعني له الكثير. علقت جاكوبا:

www.Rewity.com Breathless

- هي تعتقد أننا حبيبان.

- لماذا أتيت اليوم؟

رمقته جاكوبا بنظرة جانبية، فتابع قائلاً: «جاكي، ما بك؟ يمكنني أن أرى بوضوح أنك في مشكلة».

- لا، ليس بالتحديد.

لكن، جرياً على عاداتهما منذ وقت طويل، أخبرته بما حدث بالضبط. إنه يعرف بشأن مخاوف أمها من الشرطة السرية، لكن عينيه الخضراوين ضاقتا وهي تخبره عما جاء في مقالة بوردر. جال هوكي بنظره على وجهها بنظرة ثاقبة، وقال بنبرة ناعمة: «أنت مغرمة بذلك الأمير القاسي».

هزت جاكوبا رأسها بقوة، وهي تعلق: «أنا لا أؤمن بالحب من النظرة الأولى».

- وأنا كذلك.

ابتسمت له ابتسامة مبهرة، وضمته إليها بحرارة وبسرعة، لتشعر ببعض الأمان والاطمئنان.

- حان الوقت لذلك. لذا، اذهب الآن، واعمل جاهداً لتُفهم ميليسا أنه ليس هناك ما يُقلقها بشأننا.

قال بنبرة لا تدعو إلى الجدل: «إن لم تتقبل كلمتي بأننا لسنا حبيبين، فهي لا تستحق أن أقلق بشأنها».

سخرت جاكوبا منه قائلة: «معظم الناس قد يصدقون أنك تقصد ذلك بالفعل، لكنني أعرفك جيداً».

شد بخصلة من شعرها، وهو يسألها: «هل تريدين أن أجبر بوردر على التراجع عما كتبه؟».

- هل تستطيع القيام بذلك؟

رفع كتفيه معلقاً: «يمكنني المحاولة».

قالت وهي تقطب جبينها: «لا! بذلك ستجعله يعمل بجهد أكبر لمعرفة المزيد. أردت أن أعرف إن كنت تعتقد أن هناك سبباً يدفعنا أنا وألكسا للقلق، والآن أرى أنني جعلت الأمور أكثر تعقيداً بالنسبة إليك. أليس كذلك؟».

اعترف هوكي قائلاً: «لم يساعدني حضورك كثيراً، لكنني أعرف ما أريد، وسأحصل عليه في النهاية. أما بشأن ما تسألينه، فالله وحده يعلم ما عانته أمك قبل أن تصل إلى نيوزيلندا. هي لم تجرؤ مرة على الاقتناع أنكما بأمان هنا، لذا عملت جاهدة على إخافتكما، لتلتزما الصمت والحذر بشأن ذلك، لكنني متأكد أنها لو كانت ما تزال على قيد الحياة، لأدركت أن لا داعي للخوف من أي ثأر بعد موت باولو كونسيدين».

تناولت جاكوبا عشاءها في غرفتها تلك الليلة، متظاهرة بإصابتها بصداع مؤلم. تمنت أن يكون غيابها قد أعطى هوكي فرصة ليتصالح مع حبيبته، لكن في صباح اليوم التالي، أدركت أن الأمور لم تسر على ما يرام. مع أن الأميرة تصرفت بلباقة وذوق عاليين، فقد بدت باردة، كما أن توتر هوكي بدا واضحاً بالنسبة لجاكوبا، لكنه ليس كذلك بالنسبة إلى ميليسا كونسيدين، التي صممت على العودة إلى إيليريا هذا الصباح.

التقت جاكوبا بهوكي عند الباب بعد عودته من المطار. إنه صخرة ثابتة قوية في حياتها، وهو دائماً موجود ليقف قربها، لكن أصبحت لديه التزامات أخرى جديدة الآن.

نظر إلى سيارتها المستأجرة والحقائب في داخلها، التي تدل على أنها جاهزة للرحيل. قال: «ماذا تفعلين؟».

قالت وهي تبتسم له بحزن: «لا يحق لي أن أفرض نفسي عليك. استغليت اسمك لسنوات طويلة. حان الوقت لأتوقف، وأعتمد على نفسي. كما أنك ذاهب وراءها. أليس كذلك؟».

أعلمتها ابتسامته المرتبكة أنها حزرت تماماً ما سيفعله. قال:

www.Rewity.com Breathless

«سأمهلها يومين أو ثلاثة لتفكر. بالنسبة إلى استغلال اسمي، فذلك لا يزعجني، لكن من المحتمل أنه حان الوقت لتتابع حياتنا».

امتلأت عينا جاكوبا بالدموع، وقالت ببساطة: «أجل! حان الوقت لذلك. شكراً لك، هوكي. لا يحق لي أن أطلب منك... لكن، آمل ألاّ تخبر الأميرة عن صلتنا بإيليريا؟ هذا ليس سرّي وحدي، فهناك ألكسا أيضاً. اتصلت بها ليلة البارحة، وهي ما زالت قلقة بشأن قضية الثأر في إيليريا».

قال هوكي بانزعاج:

- لن أخبر ميلسا، وأنتِ ماذا ستفعلين؟

أرادت أن تتصل بوكالة السفر لتسافر إلى أختها، لكن ألكسا رفضت الفكرة، فهي على وشك التوجه في رحلة إلى الأدغال، لذا قالت لها: «سأعود إلى لندن لأتدبر أمر تقاعدي، وبعد ذلك سأعود».

- ما زلت جادة في كتابة تلك القصة؟

قالت: «أجل».

مع أن طموحها الآن بدا باهتاً وبعيداً، فماركو دفع كل شيء آخر في حياتها إلى مؤخرة ذاكرتها.

* * *

أقفلت جاكوبا هاتفها الصغير بغضب، متمنية أن تدرك وكيلة أعمالها هذه المرة أن لا جدوى من عرض المزيد من العقود المغرية عليها. أمضت في لندن أربعة أيام، رافضة أن ترى أحداً، وهي تضع الخطط لتنظيم مستقبلها. ربما عليها أن تشكر ماركو، فلو لم يتم اختيارها لهذه الحملة، لكان عليها أن تعمل بجهد وبدوام كامل لسنوات طويلة قادمة قبل أن تتمكن من التقاعد. فكرت بثبات وقوة، لا! لم تكن تلك سنوات ضائعة من عمرها، فقد التقت بأشخاص رائعين. لكن شغفها وإبداعها لم يتم استعمالهما أبداً بالطريقة الصحيحة. خلال

السنوات الأخيرة أدركت أن إحساساً بعدم الرضى أخذ يتنامى في أعماقها...

رن جرس هاتفها من جديد ليقلق راحتها. رفعته، وهي تقول بتهذيب: «مرحباً».

- جاكوبا!

صوت ماركو جعل قلبها يقفز في صدرها. بجهد كبير تمكنت من السيطرة على نبرة صوتها، لتظهر كأنها متعجبة من اتصاله بها: «هذه مفاجأة، سمو الأمير».

قال بنبرة خافتة حازمة، بدا فيها الشوق واضحاً: «في آخر مرة التقينا فيها ناديتني باسمي».

فكرت جاكوبا بحيرة، لا! مجبرة نفسها على إيجاد بعض السيطرة على نفسها، ثم قالت بخجل: «أين أنت؟».

- على الطريق أمام بابك.

ألقت نظرة عبر النافذة. راحت نبضات قلبها تتسارع بشدة في صدرها، لكنها بالطبع لا تستطيع رؤية مدخل المبنى من هناك. شعرت بخوف حقيقي يسيطر عليها. كم من المرات استعادت مخيلتها هذا المشهد عبر الأيام القليلة الماضية؟ قالت بنبرة خالية من أي تعبير: «كان بإمكانك استعمال الهاتف الداخلي».

- دعيني أدخل، جاكوبا.

وهذا ما فعلته. انتظرت بتوتر لتسمع صوت الجرس، وتمنت لو أنها ترتدي ثياباً أكثر أناقة من سروال الجينز وكنزتها الصوفية العادية، ولو أنها رفعت شعرها فوق رأسها ليعطي مظهرها بعض الالتزام والحزم. لكن ذلك لا يهم الآن، لأنها ستعمل على إبعاده عنها إلى الأبد. عندما سمعت رنين جرس الباب، أرغمت نفسها على رسم ابتسامة على شفتيها الباردتين، والسير لتفتح الباب.

www.Kewity.com Breathless

بدت لها حيويته الرائعة خافتة، وكأنه عانى مثلها من قلة النوم خلال الليالي الطويلة الماضية. نظر إليها ماركو بعينين مبهمتين، لكنه لم يستطع أن يخفي الشوق الذي يلتمع بشدة فيهما. حضوره غير المتوقع فاجأها كالعاصفة، فأخذت تقاوم بشدة الذكريات الماضية بينهما. بدون أي مقدمات، قال لها: «أنتِ لا تستحقين أن أهينك. سامحيني! اعتقدت أنك مثل العديد من النساء اللواتي عرفتهن، متشوقة للحصول على المال بأي طريقة كانت».

- والآن... ألم تعد تعتقد ذلك؟

اعترف ماركو بنبرة أجشة: «ولم أفعل حينها. شعرت بالاشمئزاز من الصحافي الذي لم يفوت أي فرصة ليسيء إليك عندما رفضته، لكنني تصرفت بالسوء نفسه، تماماً كما فعل».

توقف عن الكلام، فلم تعلق جاكوبا بأي شيء على كلامه. تابع بصراحة: «إنها كبريائي الجريحة. لدي طبع سيء، إذا إنني أغضب بسرعة، مع أنني لا أفعل ذلك عادة. أنا آسف لأنني تصرفت بهذه الطريقة».

أدركت جاكوبا أنه لم يذكر أي شيء عن علاقتها بإيليريا، إذاً هو لم يطلع على ما كتبه بوردر رغبة في الانتقام منها. بلعت غصة في حلقها لتتمكن من القول بهدوء: «وأنا فقدت كياستي معك أيضاً».

- لا يحق لي أن أطلب السماح منك، لكن يمكنني أن أعدك أن ذلك لن يحدث مجدداً أبداً.

قالت بنبرة ضعيفة، وهي تشعر بتصارع الأفكار في رأسها: «لا بأس! ما كان عليّ أن أدع الأمور تصل بيننا إلى هذا الحد».

قاطعها على الفور قائلاً: «لديك الحق المطلق بأن ترفضي علاقتي بك في أي لحظة تشائين».

تبدلت نبرة صوته، وهو يتابع: «لن أضايقك بعد الآن».

مدّ يده كأنه يعقد اتفاقاً معها. سمعت جاكوبا صوت حدس غريزي يتردد في أعماقها ويصرخ بها: لا تلمسيه! لكن فات الأوان على ذلك. وضعت يدها في يده وهي تقول: «أنت لم تضايقني».

أطبقت أصابعه برقة على يدها. كادت ترتجف من المس الكهربائي الذي شعرت به، وكأنه ولدّ طاقة غريبة في جسدها. دون إرادة منها رفعت نظرها إليه، وما رأته في عينيه جعل قلبها يقفز من مكانه.

قال ماركو بنبرة عميقة: «اشتقت إليك».

همست قائلة: «وأنا أيضاً».

لم تعرف من منهما تحرك أولاً نحو الآخر، لكنها، وقبل أن تتمكن من التنفس، وجدت نفسها بين ذراعيه. بقيت مقاومتها في عقلها، لكن الخائن هنا كان جسدها اليقظ المشتاق، والملتهب الأحاسيس. بدا كأن لمسته بثت فيه الحياة. ما إن ضمها ماركو إليه حتى تنهدت وهي تشعر بالتوهج من وجوده بالقرب منها.

غابت جاكوبا في عناقه، من دون أن تفكر في العواقب، فمنذ اللحظة التي غادر فيها وهي تشعر بشوق كبير له. أدركت ذلك بابتهاج، والآن ها هو هنا... فجأة، بدا لها كل شيء بسيطاً للغاية.

www.Rewity.com
Breathless

٨ - عناق ينتهي بالثأر

ما إن جلسا على الأريكة المريحة، حتى قال ماركو: «أنت رائعة الجمال. اشتقت إليك كثيراً».

كلامه أشعل شوقها كنار مستعرة. مررت يدها على كتفه بضعف. لمعت عيناها الرماديتان بشدة، وتركت أصابعها تلمس شعره الأجعد. حدق بها كأنه يرفض أن يتنازل عن أي نوع من قوته. ضغط على فمه، فاعتقدت للحظة أنه سيبتعد عنها، لكنه بقي جامداً، كأنه حيوان مفترس يراقب ضحيته. استجابتها لدقة قلبه تحت يدها بدت خيالية، فقالت معبرة عما تشعر به هي أيضاً: «أنا أيضاً».

ضاقت نظرة عينيه، وهو يحدق بها، ثم قال: «هذا خبر جيد».

عانقها من جديد، وهذه المرة لم يكن هناك أي تردد من قبلها، ولا أي تحفظ منهما معاً. بعد أن أنهى عناقه، ابتسم لها ابتسامة الحبيب المنتصر، وقال: «بدوت كعروس البحر، عندما شاهدتك على الشاطئ. فكرت بفينوس وهي تخرج من المحيط».

ألقت جاكوبا رأسها على كتفه، وهي تشعر بسعادة وسلام لا مثيل لهما، شعرت أنها محاطة بعطره وبالإحساس الطاغي بوجوده. بعد فترة، أبعد شعرها عن وجهها، وقال: «لديك شعر رائع كألسنة النار».

- إنه سبب بلائي في طفولتي.

أخيراً، رحل ماركو. أخبرها وهو يضمها إليه أن لديه موعداً في دبي في اليوم التالي، لكن غيابه آلمها. رمشت بعينيها لتبعد عنهما الدموع

الحارة الحمقاء. في النهاية، هو لم يقدم لها أي وعد، وهي أيضاً لم تفعل. لكن الذكريات سيطرت عليها، وغمرتها بما شعرت به من شغف وسعادة. ناداها ماركو «حبيبة قلبي» وهذا تعبير عن الحب يُستخدم في إيليريا منذ زمن طويل. ما زالت تستطيع سماع نبرة صوته العميقة الهادئة، وكأنه يستعمل فيها كلمات الحب تلك للمرة الأولى. تصلب جسد جاكوبا عندما تذكرت أنه تحدث معها بلغته الأصلية، وأنها أجابته بحرارة. أخذت تستعيد الحديث الذي دار بينهما. أجل، تحدث بلغة إيليريا. كان سعيداً لدرجة أنه استعمل لغة بلاده الأصلية. ارتجفت وهي تتذكر قوله: «حبيبة قلبي، كم أنت رائعة الجمال».

وبعد وقت قصير قال:

- لديك شعر رائع كألسنة النار.

هل أجابته باللغة نفسها؟ حاولت جاهدة، لكنها لم تستطيع أن تستعيد الكلمات التي تفوهت بها. اعتقدت أنها تكلمت معه باللغة الإنكليزية لأول جواب لها، لكن لديها شك مخيف أن يكون جوابها الثاني بلغة إيليريا. لا يهم ما قالته، فجوابها وحده دليل واضح أنها تفهم لغة بلاده.

أيتها الحمقاء! انتقدت نفسها، وهي تشعر بالرعب الشديد يسيطر عليها. مثل جميع الحمقى عبر العصور، سمحت لعواطفها أن تفقدها زمام السيطرة على نفسها. ربما انشغل عقل ماركو بها قليلاً، لكنه لن يبقى كذلك. حتى لو لم يلاحظ الأمر ليلة البارحة، فهو سيتذكر عاجلاً أم آجلاً أنها تفهم لغة بلاده. عند ذلك سيتساءل لماذا لم تخبره عن الأمر، والتساؤل سيقوده إلى العمل، ومع السلطة التي يملكها والمصادر القوية المتوفرة لديه، بالإضافة إلى الاطلاع على تعليق جورجي بوردر وما كتبه في مقالته عن صلتها بإيليريا، سوف يعلم.

سيطر عليها الخوف الشديد. مرة أخرى حاولت إقناع نفسها أنه لم

www.Rewity.com Breathless

يعد هناك من داع للخوف الشديد من الشرطة السرية، لكن عليها أن تحذر أختها بأن ألملاذ الآمن الذي عملت أمهما على تأمينه لهما قد تم اختراقه. نظرت جاكوبا إلى ساعتها. حل المساء في أستراليا. إن كان هناك تغطية للاتصالات في البراري والغابات، فربما تتمكن من الاتصال بها. طلبت الرقم، وانتظرت بفقدان صبر. بعد مرور بعض الوقت تضاعف توترها، وأجبرت على القبول بأن ألكسا لن تجيب. عضت على شفتها، وانتقلت للعمل على جهاز الكومبيوتر، لترسل لها رسالة إلكترونية، آملة أن تتمكن أختها من استعمال جهاز الكومبيوتر في مكان ما من الصحراء القاحلة في أواسط أستراليا.

في مساء اليوم التالي، لمعت عناوين الصحف بالتعليق «حبيبة الأمير ماركو الجديدة» مصحوبة بصور ضخمة وجميلة لها ولماركو. تأوهت قائلة: «آه... لا!».

دفعت يداً مرتجفة عبر شعرها. هذا آخر ما هي بحاجة إليه. اشترت صحيفة، وأسرعت إلى المنزل لتقرأ ما كتب بغضب شديد سرعان ما تحول إلى خوف ورعب من وقع الخبر على ماركو.

في أوكلاند، باع الصحافي معلوماته عنهما إلى صحف لندن الشهيرة، وتم ذكر صلتها بإيليريا. حاولت أن تشعر ببعض الهدوء والامتنان لأنه لم يتم ذكر ألكسا.

لحسن الحظ إن لديها عمل لثلاثة أيام في جزر كايمن. هاجمتها الأضواء والصحافة وهي تغادر، لكنها ابتسمت وتجاهلتهم. أثناء عملها في المنطقة الاستوائية كانت بعيدة عن الصحافة، لكنها وجدت أن من الصعب تحقيق راحة البال والإحساس بالحرية التي تشتاق إليها بالفعل. يبدو أن الأمير ماركو كونسيدين أصبح له وجود دائم في حياتها. ثلاثة من أربعة مجلات في غرفتها المكيفة في الفندق تحتوي على مقالات عنه، مصحوبة بصور له. قالت بحزن وهي تحدق بإحدى الصور: «كان

عليك يا أميري أن تعمل في عرض الأزياء. لكنت حققت ثروة طائلة من هذا العمل».

في الليلة السابقة لعودتها إلى لندن، وصلتها أخيراً رسالة من ألكسا عبر البريد الإلكتروني. بدأت الرسالة بمفاجأة مذهلة: «كانت أمي مرتعبة من الشرطة السرية، لأنها كانت زوجة الديكتاتور، فهو والدي».

شعرت جاكوبا بالذهول، وكأن تياراً كهربائياً مسها. أخذ قلبها يقفز بقوة في صدرها. حدقت بالكلمات القاسية، وتمتمت: «لا!».

بعينين غير مصدقتين، قرأت ما تبقى من رسالة أختها: «الثأر بالقتل هو أسلوب عيش في إيليريا، لا سيما في المناطق الجبلية، حيث ولدت أمي وعائلة كونسيدين. يحاول الأمير أليكس أن يخلص البلاد من تلك العادات المتخلفة، لكنها لا تزال سائدة. إن استطاع أحدهم أن يثبت هويتك، فأنت في خطر حقيقي ومحدق، أما أنا فسأكون بخير، لأن عدداً قليلاً جداً من الناس يعلم أنني شقيقتك».

أنهت الرسالة بتوقيع اسمها، لكنها كتبت تحت التوقيع: «سأتفهم إن كنت لا تريدين أي صلة أو علاقة بي بعد الآن. قالت لي أمي إن الديكتاتور قتل والدك ليتمكن من الزواج بها، وإنها أجبرت على القيام بذلك لأنه هددها بقتلك».

تنفست جاكوبا بصعوبة وهي تقول: «آه، يا إلهي!».

شعرت بالغثيان من شدة التوتر والحزن، فهي ليست الوحيدة المعرضة للخطر المحدق. إن كان الثأر ما زال ساري المفعول في مجتمع إيليريا، ستصبح ألكسا الهدف الأول للانتقام ما إن يكتشف أحدهم أنها ابنة شرعية لباولو كونسيدين. لم تجرؤ جاكوبا على التخلص من تلك الفكرة المرعبة. ألكسا فتاة عملية ذات تفكير منهجي، ولا بد أنها قامت بالعديد من الأبحاث لتصل إلى ما وصلت إليه. بعد أن فشلت في الاتصال بألكسا عبر الهاتف، عمدت إلى كتابة رسالة

www.Rewity.com Breathless

لها، مؤكدة لها أنها تحبها وأن عليها عدم التفكير بحماقة وسخافة، كما طلبت منها أن تبقى في مجاهل أستراليا حتى تجدا مخرجاً لمشكلتهما هذه.

أمضت عدة ساعات إضافية وهي تقوم ببعض الأبحاث على شبكة الإنترنت. تأكد لها بدون أي شك أن ما قالته أختها صحيح، فبدأت التفكير بخطط عليها القيام بها لحماية شقيقتها. في النهاية قررت أن الأمر الوحيد المنطقي هو أن تُخبر ماركو بقصتها الحقيقية، مهما كانت النتائج. لكن... ماذا لو كان ماركو نفسه يؤمن بالثأر؟ لا! لا يعقل أن يكون كذلك. وقفت على قدميها، وسارت نحو النافذة. حدقت من دون أن تركز على المنظر في الخارج، لكنها شعرت أن أزمتها أصبحت أقل ألماً وصعوبة.

تقبلت جاكوبا أنه رجل قاس لا يرحم، لكنها لا تستطيع أن توافق أنه قد ينغمس بأمر بدائي ومتخلف وعنيف كالثأر. كما أنه ولد ونشأ في فرنسا، وهي من أكثر البلدان تحضراً. إن كان هناك أحد ما قادراً على التعامل مع هذا الوضع، فلا بد أنه ماركو. شغلت جهاز التلفاز، والأفكار تتصارع في رأسها. هناك رأت تلك الابتسامة المتحفظة، إنه الأمير بذاته. تمتمت دون إرادة منها وهي تجلس على الكرسي: «أنت تتعقبني».

أمضت نصف ساعة وهي تصغي وتراقب. أمسك ماركو بزمام الأمور في المقابلة المتلفزة بطريقة مذهلة، حتى بدا كأن هالة من السيطرة تحيط به، بالإضافة إلى ذكائه الحاد ووسامته وجاذبيته الطاغية. شعرت بقلبها ينقبض. لماذا... من بين رجال العالم أجمع، أرادت فقط الحصول على هذا الرجل؟

بعد يوم واحد من عودتها إلى لندن، رنّ جرس الهاتف. عندما أجابت سمعت صوته: «أنا ماركو كونسيدين، دعيني أدخل».

تسارعت دقات قلبها، وهي تفتح قفل الباب. وقفت متوترة بانتظار دخول ماركو. في اللحظة التي رأته فيها علمت أنه غاضب. مع أنه مسيطر على غضبه بشكل كامل، لكنه كان يشع بنور يبدو كهالة باردة من الثلج. إنه يعلم... يعلم عن ماضيها. فكرت جاكوبا بذلك، والخشية تطفو عليها وتمنعها من الكلام وإخراج صوتها.

قالت بنبرة مرتجفة: «ما الأمر؟ لماذا أنت هنا؟».

- ماذا لديك لتخبريني به؟

بدت نبرة صوته حازمة، ولفظه للغة الإنكليزية ممتازاً لا شائبة فيه، لكنها سمعت من بين الكلمات تلك النبرة المميزة التي كانت تتسم بها نبرة صوت أمها عندما تتحدث باللغة الإنكليزية.

شعرت أنها غير قادرة على التفكير. تمهلت قليلاً، وهي تتراجع خطوة أو أكثر إلى الوراء. قالت: «لا أعرف ما الذي تتحدث عنه».

قال بازدراء: «أنا متأكد من معرفتك ما أقوله وما أتحدث عنه».

ثم قدم لها مغلفاً، وهو يتابع: «اقرأي هذا».

نزعت الوثيقة من داخل المغلف بتوتر ظاهر وهي تحدق بها. الكلمات الأولى التي قرأتها سحبت اللون من وجهها، وجعلته شاحباً. تمسكت بظهر الكرسي بيد واحدة، بينما جالت عيناها على الصفحة.

آه! لابد أن جورجي بوردر ضحك كثيراً عندما حذره ماركو من الاقتراب منها. حسناً! ها قد حصل على انتقامه. منذ متى يعرف هويتها وهوية ألكسا الحقيقيتين؟ قرأت المزيد، وأخذ اللون يعصف على وجهها بين تورد وشحوب، وهي تطلع على قصة حياة أمها. عندما انتهت من القراءة، رفعت رأسها، وقالت بغضب: «هذه مجموعة من الأكاذيب. كيف يجرؤ على فعل كل ذلك؟».

بنبرة صوت خالية من كل دفء، قال ماركو: «إنها الحقيقة... كما تعلمين بدون أي شك».

www.Rewity.com Breathless

لم تدرك حتى أنه يتحدث باللغة الإيليرية، فأجابت بعنف: «لم يكن والدي من إيليريا بل من اسكتلندة، ومات وهو يقاتل جيش باولو كونسيدين في الجبال».

- من المؤكد أنه مات في كمين قُتل فيه جداي أيضاً، لكنه كان طبيباً من إيليريا.

تابع بنبرة باردة حازمة: «وأختك هي ابنة باولو كونسيدين».

شعرت جاكوبا بقبضة من الألم تمسك بصدرها. أدارت وجهها بسرعة كي لا يرى ما تشعر به من أسى وحزن في عينيها. قالت: «أعرف ذلك. لكن كل ما تبقى هو مجرد أكاذيب».

قلب ماركو شفتيه، وهو يسألها: «أي جزء من الرسالة لم تصدقيه... أن أمك كانت عشيقة باولو كونسيدين، قبل أن تتزوج به؟ ما الذي أخبرتك به؟».

صرخت جاكوبا وهي تشعر بغضب شديد: «لاشيء... لا شيء! لكنني أعرف أنها لم تكن عشيقته!».

قال بدون أي شفقة عليها: «لدي دليل على ما أقوله».

سألته بغضب: «أي دليل؟».

- صور أخذت لهما معاً. ليس هناك العديد منها، بل ما يكفي لتوضيح الأمر. صور لك ولأختك في عناوين الصحف. لم يكن ذلك سراً، فقد كان يفاخر بزوجته الجميلة وطفلته.

هزت رأسها بقوة لدرجة أنها شعرت بالغرفة تدور بها. قالت من جديد: «لا!».

لكن هذا المرة جاءت نبرة صوتها ألطف وأكثر هدوءاً. بحثت عيناها عن عينيه، وقرأت الحقيقة القاسية في أعماقهما.

قال بهدوء: «أعتقد أن والدتك لم ترغب في أن تفهم طفلتيها الوضع على ما هو عليه، وهذا أمر طبيعي جداً من قبلها».

- أنت مخطئ جداً.

راقبها ماركو بقوة، وبدا وجهه الوسيم قاسياً وبعيداً، كأنه نُحت من حجر الغرانيت. قال: «ليست تلك غلطة أختك لأنها ولدت من أبوين سيئين، ولا غلطتك أنت».

أضاف بنبرة تنم عن إحساس بالعدل والنزاهة: «بدأت قبل الآن في وضع الأمور في نصابها، لتتمكن من القضاء على أي اهتمام بالأمر لدى الإعلام».

شعرت جاكوبا بالإهانة من حماقة ما يحدث. أجابت بغضب: «لا أصدق أن أمي كانت عشيقة له، وإن كانت كذلك، فلا بد أن ذلك تم تحت التهديد أو الاحتجاز. كانت أمي تكره باولو كونسيدين، وتشعر بالرعب منه».

- قد تكون كذلك، لكنها خانت زوجها الأول، أي والدك، وخانت أيضاً الأنصار من أجله.

بدا ماركو حقوداً، ولا يعرف معنى الصفح، أما ملامح وجهه الوسيم فبدت حاسمة وملؤها الإدانة.

قالت من بين أسنانها: «لم تفعل أي شيء من ذلك».

خوف مفاجئ حطم قوتها وتماسكها. أتراه ملتزم بقيود الثأر والقتل؟ شعرت بجفاف في فمها من شدة الاضطراب. تابعت بيأس شديد: «ما كانت أبداً لتخون أي إنسان، فهي أكثرالناس نزاهة وولاء وحباً للخير والصلاح من بين كل من قابلتهم في حياتي كلها».

قال دون أن تتبدل نبرة صوته مطلقاً: «حتى أكثر الناس نزاهة وولاء وحباً للخير والصلاح يمكن السيطرة عليهم. ألم تخبرك أي شيء عن حياتها في إيليريا؟».

اعترفت قائلة: «نادراً ما كانت تتحدث عنها».

أضافت عندما رأت عينيه تحدقان بها بقوة: «كانت تشعر بالرعب

www.Rewity.com Breathless

خشية أن تجدها الشرطة السرية».

مقاطعة ماركو لها أكدت لها عدم اهتمامه بما تقوله، إذ قال بنبرة باردة حازمة: «سواء صدقتني أم لا، فالأمر لا يشكل أي فرق. أختك من عائلة كونسيدين، وأنتما معاً ابنتا المرأة التي خانت حوالى خمسة عشر شخصاً، وسلمتهم إلى قوى الديكتاتور. ماتوا جميعاً. منهم من أعدم بالرصاص، ومنهم من قتل على يد الديكتاتور نفسه، ومنهم على أيدي مساعديه».

حدقت جاكوبا به، وهي تشعر بالذهول والتشتت. قالت: «ما إن تمكنت أمي من القيام بذلك، حتى أخذتنا معها وهربت. ألا يخبرك ذلك بأي شيء؟».

- حتى أكثر النساء جشعاً للسلطة والقوة، يمكن أحياناً أن تكن من أفضل الأمهات.

رفع يده ليمنع اعتراضها الفوري على ما يقوله، قبل أن يتابع: «... وكان ذلك منتهى الذكاء منها، عندما أدركت أنها غير قادرة على إنجاب صبي له».

- ماذا تقصد بقولك؟

رفع حاجبيه السوداوين مستغرباً، وقال: «تعرضت أمك لمشاكل صحية عند ولادة أختك، ما منعها من إنجاب المزيد من الأطفال، والديكتاتور أراد صبياً. أقل ما كان يمكنه القيام به هو أن يطلقها. لذا هربت».

- لا أصدقك.

كررت ذلك مرات عديدة، وهي تشعر بالخدر في كل جسمها. هي غير قادرة على تقبل فكرة أن أمها اللطيفة لديها ماضٍ ملطخ بالدماء.

علق ماركو بالنبرة الباردة نفسها: «يعطيك ولاؤك سبباً للفخر بنفسك، لكن لا شيء من هذا كله يهمني. أريدك أن تتصلي بشقيقتك،

وتخبريها أن تحضر نفسها للعودة إلى إيليريا».

سيطر الخوف على جاكوبا فجأة. سألت بنبرة خشنة: «لماذا؟».

- من المحتمل أن يكون ثمة أشخاص من إيليريا ما يزالون يؤمنون بالانتقام، وهم موجودون في نيوزيلندا أو أستراليا، وهم لا يزالون يضمرون لكما الحقد والضغينة.

توقف عن الكلام لفترة قصيرة، ثم تابع: «هل تحدثت أمك عن الثأر بالقتل في إيليريا، لا سيما بين سكان الجبال؟».

همست جاكوبا، والخوف البارد يشتت عقلها وأفكارها: «آه! أجل، لكن ليس بالكثير».

قال: «كانت تخاف من الشرطة السرية... بالطبع، لكن هناك أيضاً أقارب الأشخاص الذين خانتهم، ومن بينهم والدك، وهو كان محبوباً جداً. هؤلاء سيطالبون بالثأر منكما».

أصيبت بالرعب الآن خوفاً على أختها. هزت رأسها من جديد، وقالت: «وهل يعتقد الجميع في إيليريا أن أمي خانت هؤلاء الناس؟».

جالت بنظرها على وجهه الوسيم القاسي، الذي يبدو عليه الآن شيء من الخوف. قال بمنتهى الوقاحة: «لم يكن ذلك سراً. تعمد باولو كونسيدين أن يُعلم كل شخص في إيليريا بذلك، ومن المحتمل أنه أقدم على هذا ليتأكد أن لا حلفاء لديها، لهذا ربما هناك بعد من يسعى للانتقام، وهذا آخر أمر أريده أن يحصل لكما».

هزت جاكوبا رأسها، وهي تشعر بالموت في أعماقها، لكن إرادة من حديد وعناد شديد دفعتها للقول: «لا علاقة لك بالأمر».

- لا أحد له علاقة بالأمر أكثر مني.

هزت جاكوبا رأسها، لكنه تابع: «إن أرادت إيليريا أن تصبح بلداً متحضراً، فيجب أن ينتهي ذلك العطش للانتقام من ضمير الأمة. لهذا علينا نحن شعب إيليريا أن نتعلم السماح والغفران. كما أن أختك فرد

www.Rewity.com Breathless

من عائلة كونسيدين، ونحن نحمي أقاربنا».

تحدث ماركو بشكل عام ومن دون أي خصوصية أو حنان، وهذا أمر مؤلم بالفعل. ضغطت جاكوبا بيدها على شفتيها الجافتين، ثم تركتها تسقط إلى جانبها. قالت: «إن كان ما تقوله صحيحاً، فأنت وأخوك الأمير أليكس... أكثر الناس رغبة في قتل ألكسا».

قال ماركو بقسوة: «أنتِ أيضاً لست بأمان، فأنت تحملين عبء خيانة أمك وغدرها».

ارتجفت من الخوف، لكنه تابع: «الثأر والقتل مسؤولية مجتمع العدل فيه نادر وهش، لكن هذا المجتمع لا قيمة له في العالم المتحضر. جزء كبير من مهمة أليكس، هو إقناع سكان الجبال أن بإمكانهم العيش بأمان إن تركوا العدل يحكم البلاد».

رفع ذقنها بين أصابعه، مجبراً إياها أن تنظر إلى عينيه، وهو يقول: «هل تصدقين أنك وأختك بأمان من أي محاولة انتقام من قبلنا؟».

ارتجفت الكلمات على شفتيها، وقررت الصمت من شدة التوتر. أخذها هذا الرجل إلى الجنة وهو يضمها بين ذراعيه، لكنها لا تعرفه بما فيه الكفاية لتكون متأكدة وواثقة منه. إنه قاس جداً، لكنه عادل، كما تذكرت رقته عندما كانا معاً، واهتمامه بها، ثم لطفه وحنانه...

همست وهي تبلع غصة في حلقها:

- أجل... أصدقك.

هز ماركو رأسه موافقاً، ثم علق: «ما إن يرى سكان إيليريا أننا نحن عائلة كونسيدين قبلنا بكما، فأي جلبة واهتياج شعبي سينتهيان، وهكذا ستكونين أنت وأختك بأمان».

بدت كلماته واثقة ولا تحمل أي التباس. حدقت جاكوبا بوجهه الرائع، باحثة عن أي دليل أو أثر للحنان والعاطفة اللذين تشاركا بهما، فلم ترَ أي شيء من ذلك. ها هو يراقبها ببرودة مزقت قلبها إلى أشلاء.

في النهاية استدارت وقالت بصوت ضعيف: «أهذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع الأمر؟».

- هذا ما أعتقده. من جهة أخرى، لاحظ الجميع علاقتنا، لذا من السهل جداً أن نعلن خطوبتنا.

- ماذا؟

شعرت بكلماته تتراقص بجنون في رأسها. حدقت به، فرأت أن عينيه الشفافتين باردتان وحازمتان، كما أن تعابير وجهه تؤكد أنه لا يمزح. إنه يبدو عاقلاً جداً، وممسك بزمام الأمور في هذه المسألة، تماماً كما يفعل مع كل مشكلة تعترضه.

قالت جاكوبا، وهي تشعر بثقل كبير على صدرها: «لا! هذه فكرة مجنونة».

قال لها بمنتهى الوضوح: «قد تنقذ حياة أختك، التي تدعين أنك تحبينها، من ظروف غير سارة وخطيرة، أو ربما أسوأ من ذلك».

- أنا...

تسارعت الأفكار في رأسها لتعترض، لكنها توقفت عندما حدقت بوجهه الجامد. تمكنت أخيراً من أن تهمس: «هل أنت متأكد مما تقول؟».

سألها بسخرية باردة: «هل تعتقدين أنني أريد ذلك؟».

تورد وجهها، وأجابت: «لا».

- خطوبتنا تعني أنك أصبحت من العائلة، ونحن عائلة كونسيدين لا نرغب بالمطالبة بأي ثأر.

- لكن كيف سيحمينا ذلك إن قرر أحدهم أن يحقق رغبته في الانتقام؟ لن أستطيع أن أبرهن أن أمي لم تخن الأنصار آنذاك.

حدقت بوجهه المتعالي بيأس شديد، وهي تتابع: «لا أحد يستطيع إثبات ذلك، لا سيما الآن».

www.Rewity.com Breathless

رفع ماركو كتفيه بدون اهتمام، وأجاب: «كما هو معلوم لدى الجميع، العائلة عانت الأمرين، وحقنا بالمطالبة بالثأر له أهميته، لكن ما إن نوضح أننا لا نريد المزيد من الموت والقتل، حتى ينتهي هذا الموضوع».

- هل يمكنك التأكد من ذلك؟

هز ماركو رأسه، وأجاب: «صحيح أن تلك العادات بربرية، لكن لها قوانينها وأنظمتها الخاصة. أنا لا أكذب عليك جاكوبا، فالأمر لا يحتمل الأكاذيب».

ترددت لأنها غير متأكدة إن كان عليها أن تثق به أم لا. رسم على فمه ابتسامة ساخرة قائلاً: «حتى عندما يكون الثأر جزءاً من الحياة، فهناك طريقة معروفة جداً للقضاء عليه وإنهائه».

شيء ما في نبرة صوته جعلها تدير رأسها نحوه قائلة: «وما هي؟».

- زواج ابنة المعتدي من الخصم يضع حداً للنزاع، فيحل السلام بين العائلتين.

بدت ابتسامته متكلفة وخالية من أي مرح، أما عيناه فكانتا حذرتين.

٩ - لغز كنوز الملكة

الزواج؟! قفز قلب جاكوبا من مكانه، ثم غاص حتى معدتها وهي تنظر إلى ملامح وجه ماركو الغامضة.

بالطبع هو لا يقصد ذلك. تفوه بهذا الكلام ليخفف من الأسى والغضب اللذين أصاباها. هي لن تتزوج به حتى لو أراد هو ذلك، لأنها أدركت، وهي تشعر بحزن وحيرة كبيرين، أنها بطريقة ما... وفي مكان ما... ومن دون أن تعلم كيف ولماذا، وجدت نفسها مغرمة به. تمكن ماركو من استلام زمام أمور حياتها بطرق ماكرة، وفيما كانت تحاول أن تقنع نفسها أن ما تشعر به نحوه لا يتعدى الانجذاب الحسي، انزلق قلبها منها، ووجد لنفسه مكاناً آخر.

قال ماركو بنبرة حاسمة تدل على ثقة بالنفس كاملة: «لن نكون بحاجة إلى المضي بالأمور إلى أبعد من ذلك، فالخطوبة ستكون كافية. عندما تهدأ العواطف والحماس، وتصبحين بأمان أنت وأختك، يمكننا فسخ الخطوبة بطريقة ودية».

- لكن، ماذا بشأن أخيك؟

توقفت جاكوبا عن الكلام، وهي تشعر بقلبها يتمزق في صدرها.

سألها ماركو، وقد عقد حاجبيه مستغرباً: «ماذا بشأنه؟».

- سيكره ألكسا، ويكرهني أيضاً، إذا فكر أن أمي خانت جديك.

لم تعد قادرة على إخفاء ذلك، فقد سمعت الألم ينسكب من كلماتها، تنفست بقوة لتتمكن من المتابعة: «وماذا ستكون ردة فعل الأمير أليكس؟».

www.Rewity.com Breathless

قال بضيق وبانزعاج: «ناقشت الموضوع مع غابي وأليكس، ووافقا على أن هذه هي الطريقة الأفضل لمعالجة الوضع المعقد الذي نمر به».

- ربما ليس هناك من داع للخطوبة. تبدو مناقشة فكرة الثأر أمراً في منتهى الغرابة في هذه الغرفة الأنيقة.

دفعت يدها المرتجفة في شعرها. تابعت قائلة: «أنت لا تعلم إن كان هناك شخص من إيليريا ما زال رأسه مشحوناً بأوهام الثأر والقتل، وقد يفقد عقله ويأتي مسلحاً باحثاً عن ألكسا».

أجاب بتعاون وتفهم: «كما أنني لا أعلم إن كان الجميع ما يزالون كذلك، وهذه هي الحقيقة المطلقة. لكن تجدين أنه من الصعب عليك أن تصدقي ذلك لأن مثل هذه الأمور لا تحدث في نيوزيلندا».

- نيوزيلندا فيها أوغاد أيضاً. لا تنسَ ذلك.

قالت ذلك بيأس، ثم رمته بنظرة جانبية محاولة فهم تعابير وجهه التي يصعب تمييزها. قال ماركو موضحاً: «لكن في نيوزيلندا لا يؤيد الأوغاد أفكاراً منقرضة العهد عن الانتقام والشرف. لسنوات طوال لم يكن لدى شعب إيليريا إلا معتقداتهم التي لا تُقهر، وقصص الأبطال الذين يؤيدونها ويعززونها، وجزء من ذلك التاريخ كان الأخذ بالثأر. فإن لم نقدم على إعلان خطوبتنا، لا يمكنني أن أضمن لك سلامتك وسلامة أختك».

قالت له بصراحة: «لست مسؤولاً عن هذا الأمر».

جال ماركو بنظره على وجهها، وهو يشعر بإحساس غريب يسيطر عليه. شعور كبير من الإعجاب بها وبولاءها الشديد لأمها وأختها. هل من الممكن أن تحمل هذا الولاء لحبيبها في ما بعد؟

اتخذ قراره، وقال بنبرة خشنة: «منذ سنة فقط قُتل رجل بسبب قضية ثأر مشبوهة. قرر الأمير أليكس أن تتم ملاحقة الجاني ليمثل أمام المحكمة ويواجه نتيجة أعماله».

شحب وجهها وقالت بنبرة مبهورة: «هل تم إلقاء القبض عليه؟

- مثُل الرجل أمام المحكمة واعترف بذنبه، لكن هيئة المحلفين برأته من التهمة.

- هل أطلقت سراحه؟

حدقت به بعينين واسعتين، وقد شبكت أصابع يديها ببعضها فوق حضنها، ثم تابعت بهدوء: «إذاً سأعتبر أن هذه المعتقدات متجذرة بعمق في ضمير الأمة».

- بالضبط! ولأن الأمير أليكس يحاول دائماً أن يطبق القانون، وجد نفسه مجبراً على إطلاق سراحه، لكن بعد أن أقر في مجلس الشيوخ والبرلمان، أنه في المستقبل القريب وبمساعدة قاضيين، ستتم محاكمة أي شخص يتهم بجريمة قتل سببها الانتقام أو الأخذ بالثأر. لكن حتى الآن لا أحد يعلم إن كان هذا الإجراء كافياً لمنعهم.

أرهقت كلماته جاكوبا وأضعفتها. لأول مرة في حياتها أرادت أن ترمي بنفسها على الأرض، لتصرخ بطريقة هستيرية.

- قل لي الحقيقة ماركو: إن رفضت الخطوبة، هل تعتقد أن ألكسا ستتعرض للخطر؟

أجاب على الفور: «أعتقد أنكما ستكونان معاً في خطر حقيقي. هذا ما يراه أخي أيضاً ورجال الدولة الذين استشارهم الأمير أليكس».

غاص قلب جاكوبا في صدرها، ما إن قرأت الحقيقة الواضحة في تعابير وجهه الحازمة. بدون إرادة منها أغمضت عينيها كأنها تحاول الهروب من هذه الوقائع المريرة الموجعة.

تابع ماركو بهدوء: «إن رفضتِ، سأعمل على نقلكما أنت وأختك إلى قلعة غابي في إيليريا، حيث ستمكثان هناك حتى أقرر أنكما بأمان، وأن بإمكانكما استئناف حياتكما العادية دون خوف أو رعب».

من الواضح أنه يقصد كل كلمة يقولها. قالت بغضب: «أنت مجرد وغد متكبر».

www.rewity.com Breathless

- لكنك تعرفين أنني سأفعل ذلك.

اعترفت جاكوبا باستياء: «أجل. كما أنني متأكدة أنك لن تصل إلى حد الارتباط إن لم تكن تؤمن فعلاً بكل كلمة تقولها».

شعرت بالدموع تخز عينيها، فرمشت بجفونها لتمنع انهمارها، ثم أكملت: «لكنني أريدك أن تعدني أنك مستعد، وعلى الأقل، أن تتقبل إمكانية أن أمي غير قادرة على خيانة أحد. أنت لا تعرفها، لكنني أعرفها جيداً، فهي غير قادرة على القيام بأمر كهذا».

رفع ماركو كتفيه، وحدق فيها ببرودة قائلاً: «قلت لك من قبل إنني لا أؤمن أن على الأطفال تحمل وزر أخطاء أهلهم. أعلم أنها كانت أماً جيدة وصالحة، وأنها عملت كثيراً وضحّت بكل شيء لأجلكما عندما كنتما صغيرتين، وما تبقى لا يهم الآن».

قالت بدون أي تردد: «إنه هام بالنسبة لي».

ساد التوتر بينهما بسرعة وبقوة كالبرق. بعد مرور لحظات قليلة قال باقتضاب: «حسناً! ما دام الأمر بهذه الأهمية بالنسبة لك، أقبل بشروطك».

علقت بغضب: «من الصعب تقبل ذلك كاعتراف محترم».

قال بهدوء وحزم: «أعلم أن ذلك صعب عليك، لكنني أعتقد أنه أمر ضروري في الوضع الراهن».

أخيراً وجدت جاكوبا أنه لا بد لها من الاستسلام، فهزت رأسها موافقة، وقالت: «إذاً... ماذا سيحدث الآن؟».

- سيتم إعلان خطوبتنا في الغد، أين هي أختك الآن؟

- لماذا تريد أن تعرف؟

- أريدها أن تصبح في إيليريا، حيث بإمكاننا أن نحميها.

عندما ترددت، قال ماركو بانزعاج وبنبرة حادة: «اتخذي قرارك، جاكوبا! إما أن تثقي بي أو لا تفعلي. أنت حرة. الآن بعد أن أظهر

ذلك الصحافي للعالم من تكونين، لم يعد بإمكاننا إضاعة الوقت. هناك أشخاص من إيليريا ممن يؤمنون بالثأر موجودون في نيوزيلندا».

هو يعرف الطريقة التي تمكّنه من الضغط عليها، كما أنها تثق به وبالفخر المميز الذي رأته في شخصيته، والذي أقنعها أنه لن يعمل على الانتقام من ضحية برينة بسبب الديكتاتور الخبيث. لكنها احتاجت إلى كل ما لديها من شجاعة وإيمان لتتمكن من البوح عن مكان ألكسا. في النهاية، هذا ما عليها القيام به، ففي أعماقها هي تثق به.

- سأرسل شخصاً إليها على الفور. هل يمكنك تحذيرها مما يجري، وما عليها توقعه؟ ستكون الأمور أقل وطأة عليها إن علمت بما يحدث من حولها.

تفكيره واهتمامه يجب أن يؤثرا بها، ويدفئا قلبها، لكن كل ما استطاعت التفكير به هو أنه إن كان يريد أذيتهما، وكانت ألكسا متعاونة، فستسهل الأمور عليه.

- ليس هناك مراكز اتصالات إلكترونية في مجاهل أستراليا.

قال باقتضاب: «الوكالة التي نظمت الرحلة لديها طرق خاصة للاتصال بزبائنها. لا تقلقي! سأعمل كل ما بوسعي لتصل إلى إيليريا بسلام».

نظر إلى ساعته وتابع: «سيصل بائع المجوهرات في أي لحظة، لتختاري خاتم الخطوبة. اقترحت عليه إحضار مجموعة من خواتم فيها أحجار من الياقوت. بالإضافة إلى كونه الحجر الكريم التقليدي لعائلتي، فإن لونه الأحمر سيناسبك أيضاً».

قالت جاكوبا بنبرة ضعيفة: «لم يكن لديك شك بأنك قادر على إقناعي. أليس كذلك؟».

حدق بها بنظرة ثابتة، وقال: «أدين لشعب إيليريا بذلك، ولك أيضاً. إن لم يكن من أجل التخفيف من إساءة باولو كونسيدين، فلأنك

www.Rewity.com Breathless

ابنة طبيب قضى مع جدي بسبب وابل من الرصاص، كما أن عائلته ماتت أيضاً. أنت تدينين لذكراهم بالاحترام نفسه، الذي تحملينه بدون أي شك لأمك».

قالت بصوت مخنوق: «ما يحدث غير مؤات و... غير مناسب».

- مناسب؟! من يتحدث عن ذلك الآن؟ إنها مسألة عدالة هنا.

ظهرت ابتسامة مقتضبة على وجهه، قبل أن يكمل: «ليس عليك أن تشعري بأي خوف، بأنني أتوقع أن تكوني عشيقتي أثناء خطوبتنا، فما كان بيننا من تودد وعناق انتهى الآن».

شعرت جاكوبا بالكلمات الحاسمة الباردة تنهال كضربات المطرقة فوق قلبها. كبرياء صلبة لا تلين، شبيهة بكبريائه دفعتها للقول: «بعد ما أخبرتك به عن تاريخنا، كنت سأسعى لجعلك تتفهم ذلك».

أجاب ماركو بسخرية: «إذاً، نحن متفقان».

استدار ما إن ظهر خادم عند الباب، وتابع قائلاً: «لابد أن بائع المجوهرات قد وصل».

الطريقة الوحيدة لتتمكن من المضي بكل ما يحدث معها هي الحجر على عواطفها ومحاولة القضاء عليها، لتستمر في حياتها قُدماً بطريقة آلية. حان دور الاستعانة بمهارتها في التمثيل، التي حصلت عليها عبر سنين طويلة من العمل الشاق. تعمدت جاكوبا أن تصب اهتمامها وتركيزها بالنظر إلى مجموعة الخواتم التي أحضرها لها لتختار منها خاتم خطوبتها.

قال ماركو بصوت لطيف: «جربي هذا الخاتم».

أشار إلى خاتم من الياقوت يلمع كأنه يحتوي ألسنة من نار في داخله، رُصع الحجر الكريم بقطع رقيقة من الذهب زادت من جماله بلمعانها وانعكاس لونها على الياقوت.

قال الصائغ، ما إن ترددت جاكوبا قليلاً: «إنه خاتم غير تقليدي،

ربما السيدة تفضل الماس».

نظر إلى يديها المنقبضتين بالقرب من جنبيها، وتابع: «السيدة لديها أصابع رشيقة وطويلة، وربما تتناسب أكثر مع هذا الخاتم».

أشار إلى خاتم فيه حبة ماسية كبيرة، فقالت جاكوبا بدون أي اهتمام: «إنه مبهرج جداً».

ثم عادت لتحدق بالخاتم الأول. إنه لا يبدو خاتماً للخطوبة.

اتخذت قرارها، وقالت: «بل هذا... أجل أفضل هذا الخاتم».

ناسب الخاتم الذي اختارته إصبعها ويدها بشكل مثالي، لكن من المحتمل أن ماركو كان يعلم تماماً مقاس إصبعها، فهو شديد الملاحظة.

توهج الضوء داخل قلب حجر الياقوت، فقال ماركو بنبرة صادقة: «إنه رائع... بل مثالي أيضاً».

ما إن أصبحا بمفردهما من جديد، حتى سألت جاكوبا: «ماذا سيحدث الآن؟».

- سنغادر إلى إيليريا في غضون ساعة.

عندما رمته بنظرة متفاجئة، أمسك بمرفقها وأدارها لتواجهه. قال بنبرة خالية من أي عاطفة: «أعلم أنه ليس لديك أي عقد عمل حتى حفلة الأسبوع القادم المخصصة لتقديم العطر. اعتادي على هذه المهزلة التي نقوم بها، جاكوبا، وإن كان الأمر يساعدك، فكري بأنك تعوضين ولو قليلاً عن الأذى الفادح الذي سببه زوج أمك لكم».

سألته بشفافية وهي تستدير لتبتعد عنه: «وكيف سيحدث ذلك؟».

انتقل ليتحدث باللغة الإيليرية، قائلاً: «تعاونك قد يحدث تبدلاً كبيراً في الكثير من الأمور، التي ستنتج عنها مصلحة لكل شعب إيليريا. مع أنها ليست مساعدة ملموسة مثل المال الذي كنت ترسلينه بشكل دائم إلى دور الإحسان في إيليريا، منذ أن اعتلى أليكس العرش، لكن ربما

www.Dewity.com Breathless

عملك هذا سيكون أكثر أهمية للجميع على المدى الطويل».

شعرت بحرارة تجتاحها، وبذات اللغة سألته باندفاع: «كيف عرفت بذلك».

توقفت على الفور عن المتابعة عندما رأت ابتسامته الساخرة، وأكملت بعد لحظات قليلة: «أرسلت المال بدون أي اسم وبصفة مجهولة خوفاً من افتضاح أمري. كيف علمت؟».

- لم يكن من الصعب معرفة من يرسل هذه المبالغ الكبيرة.

فكرت بحزن واستياء، لا! ليس من الصعب أبداً إن كنت تملك المال والسلطة لتستخدم جيشاً من التحرّيين الخاصين لاكتشاف الأمر.

تابع قائلاً: «المال دائماً مرحب به كثيراً، لكنك تدينين لهم بضريبة من الدماء أيضاً».

سببت الكلمات الغريبة التي تفوه بها رجفة في عمودها الفقري. قالت: «العين بالعين والسن بالسن. هذا هو الانتقام العادل».

قطب ماركو جبينه، وعلق: «لم يذكر أحد الثأر والانتقام».

جالت نظراته على وجهها، وتابع بالنبرة ذاتها: «إن أردت أن تتأكدي من أن أختك بأمان، ستعطين كل شخص نقابله فكرة أنك مغرمة بي بشكل لا يوصف، تماماً كما سأظهر أنا بدوري غرامي بك».

كلماته الساخرة عن الغرام أدمت قلبها، قالت: «لا شك أن قدراتي التمثيلية ستساعدني. أليس كذلك؟».

أجاب بتهذيب: «أنا متأكد من أنك تملكين قدرة تمثيلية وقدرة على إقناع الجميع بأمر الغرام والخطوبة معاً».

عاد ليتحدث باللغة الإنكليزية، فقال: «تبدين شاحبة، هذه القضية كلها سببت صدمة لك. لكن رئيسة الخدم في القلعة ستهتم بكِ في ما بعد، فهي مولعة بالاهتمام بالآخرين».

* * *

توهجت أشعة الشمس الذهبية على القمم البيضاء في أعالي الجبال، ما إن انحدرت الطائرة العمودية نحو الأرض القريبة من القلعة، التي تبدو كصورة في إحدى القصص الخيالية. فكرت جاكوبا وهي تشعر بقبضة من الألم تمسك بقلبها، أنها قصة خيالية مظلمة ومخيفة. قال ماركو هامساً: «عرين الذئب» هذا هو اسمها. لسوء الحظ غابي ليس هنا، وهو يعتذر منك، لأنه في العاصمة في الوقت الراهن».

إحساس ضعيف من الجبن والرعب استقر في أعماقها، بالرغم من الحماس الذي تشعر به. ها هي تعود إلى هذا الوادي حيث حدث كل شيء. إحساس بالترقب والخشية جعلها متوترة وعصبية. شعرت كأن شخصاً ما أو شيئاً ما بانتظارها منذ وقت طويل حتى تعود.

بعد تناول العشاء في تلك الليلة، حدق ماركو بها بعينين فاحصتين، وقال: «يبدو عليكِ التعب».

قالت:

- كان يوماً طويلاً وشاقاً.

- إذاً، ما رأيك أن تذهبي إلى النوم؟

رافقها ماركو إلى غرفتها، دافعاً الباب أمامها. كانت تمر أمامه، عندما أدارها بين ذراعيه وعانقها بشدة. تعلقت جاكوبا به، وهي تتساءل هل الشغف كافٍ لها. ما إن ابتعد عنها، حتى أدركت أن امرأة عجوز كانت تتحرك بصمت في أرجاء الغرفة. أدركت عندئذٍ وهي تشعر بالضيق لماذا عانقها.

قال ماركو برقة: «قابلت ماريا بعد الظهر. عملت عندنا طوال حياتها، والآن هي رئيسة الخدم ومدبرة المنزل في القلعة».

ابتسمت جاكوبا لها، وحيّتها بالطريقة التقليدية المعتمدة في إيليريا، قائلة: «ليباركك الرب أنتِ وجميع أطفالك».

ابتسمت لها رئيسة الخدم، ولمعت عيناها بشدة وهي تنظر إليها،

www.Rewity.com Breathless

قائلة: «وأنت أيضاً. أتمنى لك نوماً هنيئاً وليلة هادئة بدون أحلام».

هزت المرأة رأسها باحترام وسارت عبر الممر الحجري. رأت في الغرفة عدداً من الصور الشخصية لسلالة عائلة كونسيدين وبعض المناظر الطبيعية المذهلة. رأت بذلة مدرعة تقف كحارس بجانب المكتبة. تجاهلت ما تشعر به الآن من غربة وحزن، وقالت بهدوء: «لديها شخصية قوية».

- أجل، ونحن كعائلة متمسكون بها كثيراً.

رفعت جاكوبا نظرها باستغراب، لكنها لاحظت أن ملامح وجهه غير مقروءة، وهو يتابع: «هي من خبأت «دماء الملكة» بعيداً عن الديكتاتور، وعانت كثيراً بسبب ولائها لنا».

هزت جاكوبا رأسها، فقد سمعت الكثير عن «دماء الملكة» من قبل. إنه كنز قديم للعائلة، وهو مجموعة من الأحجار الكريمة كلها من الياقوت المرصع بالذهب التي لا تقدر بثمن، وهي قديمة جداً لدرجة أن لا أحد يعلم من صنعها وتاريخ صنعها.

قال ماركو: «سنذهب غداً بنزهة على ظهر الخيل، لذا نامي جيداً لتتمكني من الاستمتاع بالراحة في ربوع إيليريا».

لم تستطع جاكوبا الاسترخاء أو النوم، إلا بعد أن تناولت أحد أقراصها المنومة، التي تستعملها عادة لتتمكن من إيجاد الراحة أثناء السفر وتبدل مواعيد نومها. مع ذلك ظل نومها متقطعاً، وانتابتها كوابيس متعددة. استيقظت باكراً، لكنها بقيت مستلقية في السرير لساعة أو أكثر، والدموع تكاد تنهمر من عينيها.

الاستسلام للبكاء لن يحقق لها أي شيء إلا عينين حمراوين، لذا أجبرت نفسها على النهوض من السرير. استحمت، وارتدت سروال جينز وكنزة سوداء.

سمعت طرقة خفيفة على الباب، ثم دخلت مدبرة المنزل، وهي

تحمل صينية عليها فنجان من القهوة وصحنا فاكهة وجبنة، وبعض الخبز الجاف، كذلك الذي اعتادت أمها تحضيره لهما بين الحين والآخر.

قالت المرأة العجوز: «تناولي هذه كي لا تشعري بالجوع قبل الفطور».

وضعتها على الطاولة القريبة من النافذة، التي كانت تشع كأنها مرصعة بالماس.

- تناولي الطعام الآن، بينما يجري الأمير اتصالاته الهاتفية.

تنهدت المرأة، ثم رفعت كتفيها متابعة: «الهاتف يرن طوال الوقت. أرسل لك صحيفتين: واحدة من نيويورك وأخرى من هنا».

قد يكون السبب الخوف من سلطة عائلة كونسيدين أو مهارة العائلة، لكن الصحافة قررت أن تتعامل مع القضية برمتها كأنها قصة رومنسية رائعة، يتم من خلالها أخيراً مصالحة فريقين متخاصمين في العائلة الواحدة.

لم يُذكر أي شيء مطلقاً عن إيلونا سنكلير كونها عشيقة الديكتاتور، أو شيئاً عن خيانة محتملة لزوجها أو لجدّي ماركو. شعرت جاكوبا بارتياح لا يوصف، وأجبرت نفسها على تناول بعض الفاكهة، ثم شربت القهوة، بينما كانت المرأة العجوز تتجول في الغرفة لترتبها وتزيل الغبار عن الأثاث، وتنظف غرفة الحمام التابعة لها.

عندما انتهت، رافقت جاكوبا إلى القاعة الكبرى، حيث كان ماركو واقفاً يتحدث مع أخيه غابرييل، الدوق الأكبر في إيليريا، الذي عاد إلى القلعة في ساعة متأخرة من ليل البارحة.

من خلال النافذة الكبيرة خلفهما أرسلت الشمس أشعتها على رأسيهما، ولامست برقة ملامح وجهيهما الوسيمة والمتعالية. رفع الرجلان رأسيهما ما إن أحسا بجاكوبا تقترب منهما، لكن جاكوبا أبقت نظرها مثبتاً على أميرها.

www.Rewity.com Breathless

لمعت عينا ماركو الزرقاوان بحرارة وشوق. قال لها وهو يمد يده إليها: «جاكوبا!».

شعرت بتوترها يزول ما إن شدها ماركو لتقف قربه. بدا لها الأمر وكأنها وُلدت من جديد. سأل الأمير غابي، وعيناه غامضتان وهو يحدق بأخيه: «إذاً، إلى أين تفكر في الذهاب في نزهة؟».

تدخلت ماريا قائلة: «عليك أن تأخذها إلى المسلة».

قالت ذلك قبل أن يتمكن ماركو من الإجابة. ابتسمت لهم، وكأنها قررت القيام بالنزهة بنفسها. بدا غابي وكأنه على وشك أن يقول تعليقاً ما، لكن الكلمات لم تخرج من فمه، وبقي صامتاً.

تأمل ماركو جاكوبا للحظة، قبل أن يسألها: «هل تريدين رؤية المسلة؟ إنها قريبة جداً من الطريق، ولها مكانة خاصة في تاريخ عائلتنا».

فكرت وهي تشعر بالحزن والألم، إنه ماهر في التمثيل مثلها بل أفضل منها، ربما لأنه يريد أن يلاحظ الجميع الرقة في نبرة صوته واللمعان في أعماق عينيه، وهو يتحدث إليها.

قال غابي: «بل في تاريخ البلاد».

ابتسمت، وقالت: «أحب ذلك. لا يوجد في نيوزيلندا آثار تعود إلى تاريخ أقدم من ألف سنة، كما أنه ليس هناك أي مسلات».

قالت ماريا بكل صراحة: «أنتِ من إيليريا».

قال ماركو: «بالولادة والوالدين... هذا صحيح، لكن أعتقد أنها ستبقى من نيوزيلندا في قلبها».

تفاجأت جاكوبا من تفهمه، وهزت رأسها موافقة.

عند منتصف الطريق، وبينما هي تنزل منحدراً ملياً بالأشجار، أبقت نظرها مركزاً بين أذني حصانها الأسود الممشوق. قالت: «رئيسة الخدم لديكم واسعة الاطلاع وحنونة جداً».

- عاشت ماريا حياة قاسية جداً. كان باولو كونسيدين ظالماً جداً مع أي شخص لديه أي صلة بعائلتنا. كانت ماريا خادمة في القلعة، وعانت الكثير. فقدت عائلتها، وخسرت كل شيء إلا حياتها.

شعرت برجفة تجتاحها، لكنها قالت بهدوء: «لا يبدو أنها تحمل لي أي ضغينة أو حقد».

قال ماركو بنبرة عادية، لا تشبه أبداً النظرة الحادة التي كان يرمقها بها: «من الواضح أنها كانت تعرف أمك جيداً».

قفز قلب جاكوبا من مكانه. سألته: «أحقاً؟».

- وهي مثلك، لا تصدق أن أمك كانت عشيقة باولو، أو أنها خانت أحداً من الأنصار.

رمته بنظرة تحدٍ قائلة:

- كل ما أتمناه الآن أن كل شخص في إيليريا يوافقها الرأي، لكن هذا لن يساعد ألكسا. أليس كذلك؟

لم تكن تطرح عليه سؤالاً، بل تصف الوضع بكل ما فيه من صعوبة وواقعية.

قال بثقة وبنبرة حازمة: «ستكون بخير. هل تعتقدين أنني سأحضرها إلى هنا، لو أنني أعتقد للحظة أننا لن نستطيع حمايتها؟».

- هذا ما يشغل بالي بشكل دائم.

توقفت عن الكلام، لأنها لا تستطيع أن تشرح له التوتر والتصلب اللذين شعرت بهما بين كتفيها، فهي تشعر كأن هناك من يراقبها، يخطط، وينتظر الفرصة المؤاتية ليقدم على شيء ما. قال بهدوء وحزم: «ثقي بي، وإن كنت غير قادرة على القيام بذلك، ثقي برجال الأمن لدى غابي، وبكلمة الشرف التي أعطاها أليكس لشعبه».

ليلة البارحة، وهو مستلق على سريره شعر بشوق كبير لها. عاوده التفكير بأن لا أحد من أفراد عائلته نشأ في إيليريا، مع أنهم كبروا

www.Rewity.com Breathless

وترعرعوا على عاداتها وتقاليدها، أليكس فقط هو من عاش هنا خلال السنوات العشر الأولى من حياته.

عندما عرض فكرة خطوبته أمام غابي، قاما معاً باستشارة ماريا، التي قالت بهدوء: «بالطبع، يجب أن تتزوج بها».

- لكن، هل الزواج بها سيساعد إيليريا؟

رفعت كتفيها، وهي تجيب: «إنه الأمر الوحيد القادر على المساعدة».

هذا ما يتمناه. يا إلهي! كم يرغب بإنهاء كل قضايا الثأر والانتقام، ليس فقط من أجل مستقبل إيليريا. إن حصل أي مكروه لأخت جاكوبا، فلا بد أنها ستضيع... سيفقدها إلى الأبد، لأنها وثقت به وبكلمة الشرف التي أعطاها لها غابي.

نظرت جاكوبا إليه الآن. كانت عيناها الرماديتان تنظران إليه بطريقة مباشرة وحاسمة. قالت: «أنا أثق بكم جميعاً. بكل الأحوال، ماذا يمكننا أن نفعل غير ذلك؟ ظلت ألكسا بأمان قبل أن يشك الآخرون بهويتنا، لكن ما إن بدأ ذلك الصحافي في أوكلاند بفضح أمرنا، حتى أصبحنا نعيش بتوتر وقلق دائمين».

قال ماركو بضيق: «بدأ بالبحث فقط لأنني ظهرت في حياتك».

هزت رأسها على الفور، وقالت: «لا، أبداً... بدأ بالبحث والتقصي عني عندما رفضته، ولا علاقة لك مطلقاً بالأمر».

ظهرت المرارة في نبرة صوتها، وهي تتابع: «لديك ما يكفي من المسؤوليات، لا داعي لأن تضيف واحدة جديدة على القائمة».

بدل ماركو الموضوع قائلاً، وهو يشير إلى الأمام: «ها قد وصلنا إلى المسلة. انزلي! سنربط الحصانين هناك».

فعلت جاكوبا كما قال لها. لكنها شعرت في داخلها كأنها سجينة. من دون أن تدرك، تمنت، آه...! تمنت لو أن عاطفة أكبر تجمعها مع

ماركو، أهم من هذه الخطوبة المهزلة التي دفعه إليها إحساسه بالواجب نحو بلاده، أو... الانجذاب الحسي نحوها.

تأوهت متعجبة لدى رؤيتها المكان. تجاوزا الأشجار، ووصلا إلى قطعة أرض صغيرة مليئة بالأعشاب. قالت وهي تحدق بالحجر الكبير الذي ينتصب كالجبل أمامها: «كم هو كبير هذا الحجر. وكم هو عدد الرجال الذين عملوا على رفعه ليقف كالمسلة هنا».

قال باقتضاب: «بالطبع، احتاج الأمر إلى المئات منهم».

وُضعت المسلة في هذا المكان بعناية واهتمام، فهناك جدول صغير يمر بين الأشجار، ويلتف حول قاعدتها، ثم يجتاز الحقل ليختفي وراء الصنوبريات البعيدة. لم يكن يبدد الصمت إلا صوت المياه المنسابة، التي تنسكب عبر المنحدر على مسافة بعيدة خلال الأشجار.

ارتجفت جاكوبا من شدة القلق، وتمتمت قائلة: «قل لي إنني مجنونة... فلا شيء هنا يهتم لوجودنا».

علق بمرح: «اكتسب هذا المكان أهمية، لأن امرأة قتلت هنا بسبب الكنز الذي كانت تحمله: «دماء الملكة».

شعرت بوخز يجتاح بشرتها، وهي تقول: «أهكذا وصلت كنوز «دماء الملكة» إلى عائلتك؟».

- إنها قصة قديمة تعود إلى يوم مقتل ملكة البلاد. قتلتها عصابة من الأشرار، وبقيت روحها تحرس الكنز في هذا المكان، حتى وصل إلى هنا أول شخص من عائلة كونسيدين. من المحتمل أنه أتى من اليونان. بقي هنا وتزوج من ابنتها. وحسب ما يروي السكان الأصليون، كل أفراد عائلة كونسيدين تحدروا من هذا الزواج.

www.Rewity.com Breathless

١٠ ـ معاً تحت المجهر

للحظة طويلة مليئة بالترقب، نظر ماركو إليها من تحت رموشه، وهو يضغط على شفتيه. سيطر التوتر على أعصاب جاكوبا، ما دفعها لترفع رأسها بسرعة، كأنها ترغب في الدفاع عن نفسها.

أنهى ماركو ذلك الصمت، عندما قال: «لا تنظري إلي هكذا».

قالت جاكوبا وهي تشعر بقلبها يدق بجنون: «لا أعلم... ما الذي تقصده».

اقترب منها قائلاً:

- وكأنك تحدٍ لا يمكن مقاومته.

وأطبق بذراعيه حول جسدها الجميل...

عانقها، وكأن العاطفة المكبوتة التي يشعر بها قد انفجرت. التصقت به جاكوبا، تاركة أصابعها تنغمس في عضلاته المشدودة كالفولاذ، فعانقته بكل ما لديها من عاطفة جياشة نحوه، تاركة العناق يخبره بكل الأمور التي لا تجرؤ على قولها.

بعد لحظات، ابتعد عنها وهو يقول: «أنا آسف! قطعت لك وعداً بألاّ أفعل ذلك».

بدا وجهه ونبرة صوته تحت سيطرة كاملة، ما أجبرها على الاستدارة، كي لا يتمكن من رؤية البؤس في عينيها. كانت قد ربطت شعرها كذيل الفرس، ورفعت يدها الآن وسحبت الرباط، تاركة خصلة منه تسقط على وجهها. هذه الحركة أعطتها الوقت الكافي لتجبر

جسدها المتوتر على الهدوء. قالت بحزم، وهي تتمسك بكل ما لديها من إرادة وكبرياء: «لا بأس!».

شعرت بحركة خلفها، وما إن استدارت لتتحقق من الأمر، حتى استدار ماركو بسرعة، ودفعها لتلتصق بالمسلة، حتى لم تعد تستطيع الحركة، وبالكاد تستطيع التنفس.

شهقت جاكوبا ودفعت جسده الكبير بعيداً. إنها بحاجة إلى الهرب منه. غمغمت قائلة: «ماذا هناك؟».

إحساس بالرعب سيطر على كل قدراتها، وأفكار مرعبة عن الدببة والثعالب لمعت في خاطرها.

قال ماركو بنبرة آمرة: «اصمتي!».

جمدت في مكانها، وقد تيقظت حواسها. سمعت نداء عصفور من بين الأشجار، وصرير حشرة قريبة، والخرير الناعم للجدول الصغير عند قدميها، وتنشقت عطر العشب ورحيق الصنوبر. وفوق هذا كله، فكرت باستغراب، أنها تشم رائحة جسده المتغيرة بشكل دقيق جداً. الاحساس بتدفق الدماء في جسده يدل على أن هناك حذر شديد لرجل يستعد لمواجهة الخطر. تأكدت أنها بعيدة عن خطره، فعملت على تهدئة أنفاسها المتسارعة.

لدقائق بقي ماركو جامداً وصامتاً كحيوان مفترس ينتظر الانقضاض على فريسته. خيراً ارتاح جسده الكبير ببطء. من دون أن يتحرك، قال: «اعتقدت أنني سمعت أصواتاً بين الأشجار».

سار مبتعداً، فأخذت جاكوبا نفساً عميقاً، بدا أشبه بتنهيدة. إن كان لديها أي شك بعد حول الدوافع التي أدت إلى خطوبتهما المهزلة، فها قد حصلت عليها الآن.

سألته بنبرة هادئة حازمة: «ماذا يمكن أن تكون هذه الأصوات برأيك؟».

www.Rewity.com Breathless

رفع ماركو كتفيه مجيباً: «أعتقد... من المحتمل أنه عصفور ما، لكنني لست متأكداً».

نظر حوله، ثم أمسك بيدها، وتابع: «هيا! تابعي السير، لكن ابقي قريبة مني قدر الإمكان».

بدا لها كأن هناك عيوناً تراقبهما طوال الطريق أثناء عودتهما إلى الحصانين. عندما أصبحا هناك، قال: «من المحتمل جداً أنه طائر، لكن عديني أنك لن تخرجي من القلعة بمفردك».

ارتجفت قائلة: «لن أفعل، فالهدوء مقلق هنا».

رماها بنظرة متفحصة، قبل أن يحيط كتفيها بذراعيه بطريقة غير متوقعة، ويضمها إليه بشدة كأنه يتأكد أنها بخير.

- إنه مكان خارق للطبيعة، لكننا نحن، عائلة كونسيدين نشعر أننا بأمان هنا.

في وضعهما هذا، وفيما ذراعه القويه تحيط بها، شعرت جاكوبا أنها بأمان أيضاً. بعدئذٍ شعرت بالوحدة عندما ابتعد عنها قليلاً، ليرفعها مساعداً إياها لتجلس فوق سرج الحصان. راقبته وهو يمتطي حصانه، وشعرت برجفة في قلبها من جراء الشوق الذي لا يقاوم نحوه.

في الأسبوع التالي، تم تقديمها إلى سكان الوادي على أنها العروس المختارة للأمير ماركو، ومع أنها تتفهم دوافع ماركو للقيام بذلك العرض من الاهتمام الشديد والوله بها أمام الجميع، إلاّ أن القيام بدور العاشق الولهان يؤلمها بشكل لا يحتمل.

لدهشة جاكوبا، وصل هوكي إلى القلعة في اليوم التالي برفقة الأميرة ميليسا. بدت الأميرة سعيدة جداً، حتى إن السعادة كانت تشع منها كالنور.

قالت له جاكوبا بعد الانتهاء من تناول العشاء: «إذاً، نجح الأمر معك. أنا سعيدة من أجلك».

نظر هوكي إلى الأميرة، وابتسم، قبل أن يقول: «هذا صحيح. ماذا عنك؟ هل نجح الأمر معك أيضاً؟».

ابتسمت له جاكوبا ابتسامة متوهجة من قلبها، وقالت بفرح: «كما ترى بعينك. متى ستعلنان خطوبتكما؟».

- في غضون شهر. لكننا متفقان على أن خطوبتكما هي أكثر أهمية.

نظرت إليه، ورأت بوضوح مدى تفهمه، فابتسمت له ابتسامة مقتضبة. كما لو أنها أشارت له بالقدوم، قطع ماركو الغرفة ووضع ذراعه حول كتفها. فكرت أنه يحمل موهبة وقدرة ممثل جيد بالفعل. شعرت بقلبها يتمزق، وهي تتمنى لو أن الأمور مختلفة بينهما. الزائر التالي كان خطيبة غابي، سارة ميلتون، امرأة فاتنة، ولديها إحساس بالأناقة يجعلها مصممة ديكور ممتازة. في اليوم التالي طاروا جميعاً إلى العاصمة من أجل الاحتفال الملكي في القلعة هناك. نظراً لسعادة السكان المحليين والتهليل لهم، أدركت جاكوبا أن المناسبة حققت نجاحاً منقطع النظير.

أعجبت جاكوبا بالزوجين الملكيين، الأمير أليكس وزوجته الرائعة آنيتا. إنها من نيوزيلندا، وقد حققت شهرة واسعة في البلاد من خلال دراستها للدلافين في البحيرة الكبيرة، التي تبعد عدة أميال عن القلعة. استمتعت جداً برفقة أطفالهما الثلاثة وجميعهم كانوا صغاراً في الحضانة.

في الواقع، أحبت جاكوبا كل ما يتعلق بإيليريا، ووجدت نفسها تنتمي إلى المكان من جديد، ما أزعجها هو فقط تمنيها لو أن الأمور حدثت معهما بشكل مختلف. في ظاهر الأمر ماركو هو الحبيب المثالي، لكنها تشعر بتغير فيه. إنه يبعد نفسه عنها بطريقة تؤلمها.

بقيت في العاصمة حتى حان موعد توجهها إلى المطار برفقة ماركو، ليسافرا إلى لندن من أجل حفلة عرض العطر. انطلقا عند ساعات

www.Rewity.com Breathless

الصباح الأولى. حدقت جاكوبا بالمدينة بقرميدها الأحمر. سألته: «كيف جرت الأمور برأيك؟».

- جيدة جداً. أنت نجحت مع الجميع، لا سيما مع العائلة.

لم يكن هناك أي إحساس في نبرة صوته، فنظرت إليه بقلق قائلة: «هل أنت متأكد أن ألكسا ستكون بأمان عندما تأتي إلى هنا؟».

أنهت أختها رحلتها في مجاهل أستراليا، وبعد الحفلة في لندن سيعيد ماركو جاكوبا إلى عرين الذئب ثانية لإحضار ألكسا.

قال: «لا شيء مؤكد، لكن بعد أن أصبحت قصة والديها معروفة في العلن، ستكون معنا بأمان أكثر من أي مكان آخر».

- إذاً، الخطة على ما يبدو ناجحة حتى الآن.

هز ماركو رأسه، ثم حدق بوجهها للحظة، قبل أن يقول: «أعتقد أن خطوبتنا تؤثر بالناس أكثر مما تفعل القوانين، إذ تجعل توقف الانتقام والثأر أمراً مقنعاً من الناحية العاطفية».

شيء ما في نبرة صوته جعلها تشعر أن بقية الحديث لن تعجبها. قالت على نحو مفاجئ: «لكن ماذا؟».

ببرودة، قال ماركو: «أشك بأن تكون الخطوبة كافية».

شعرت جاكوبا بعاصفة ثلجية تجتاحها. قالت: «لا أعتقد أنني فهمت ما تقصد».

- أعتقد أن علينا أن نتزوج.

كلما رأت جاكوبا المزيد من الشجاعة لدى الناس في مواجهة هذا الموقف، ازداد إعجابها بهم. فهمت لماذا يتفانى ماركو وأفراد عائلته في مساعدتهم. لكن تواجدها معه وهي تعاني من تظاهره باللطف والعناية بها... ابتساماته ولمساته، وكذلك حضوره... ذلك يجعلها تشعر وكأنها في الجحيم. فالحب الذي اكتشفت أنها تشعر به نحوه منذ سبعة أيام مضت، بدا لها الآن طفولياً وعديم الأهمية، بعد أن حظيت

بالوقت الكافي للتعرف على مزايا الإنسان الحقيقي فيه. الزواج منه سيكون معاناة شديدة ودائمة من الحب البائس والأمل اليائس بعدم إمكانية إشباع ذلك الحب وتحقيقه. هي لا تستطيع تحمل ذلك. فكرت بذلك وهي تحدق من النافذة إلى البلاد التي تحتل كل اهتمامه وولائه.

قالت بصوت ضعيف: «أهذا قرار من الأمير أليكس والمجلس الاستشاري أيضاً؟».

أبقت نظرها على النافذة، وهكذا تمكن من رؤية الصورة الجانبية لوجهها. إنها دائماً تبدو بغاية الكمال في الثياب الكلاسيكية التي تفضلها أنيقة وفاخرة، وهذا الصباح أبعدت شعرها إلى الوراء لتظهر ملامح وجهها الفاتن.

شعر ماركو بشجاعته تنهار أمامها، وكأنه تلقى ضربة قوية. تبع ذلك على الفور إحساس بالشوق لم يشعر به يوماً من قبل. كيف تمكنت هذه المرأة بحق السماء، من صرف اهتمامه الطبيعي عن النساء الأخريات؟ قبل أن يكتشف هويتها الحقيقية، حاول أن يبعدها عن أفكاره، حتى إنه تعمد الذهاب إلى عشاء حميم مع امرأة تعجبه. أمضيا سهرة رائعة، طغت عليها الأحاديث الحلوة والضحك، وكان قادراً على الضحك على نفسه بأنه يريدها، لكنه تركها متفاجئة وخائبة الأمل عند عتبة باب بيتها. والآن كل ما يريده هو البقاء مع جاكوبا وإبقائها بين ذراعيه لساعات. لا. تباً...! ليس ساعات بل لأيام. إنه يكره نفسه لشعوره بهذا الإحساس القوي البدائي من الشوق لها، بالرغم من إدراكه أنه إحساس غير متحضر.

هي أيضاً تشعر بالانجذاب إليه، لكنها ليست سعيدة أبداً بفكرة الزواج منه. هناك عقدة صغيرة بين حاجبيها، إن كانت تبادله الإعجاب، فلماذا إذاً هذا الحزن لفكرة الزواج؟

قسّى ماركو قلبه قليلاً، وأجاب بنبرة حازمة: «لا! هذه قراءتي

www.Dewity.com Breathless

الخاصة للأمر. كنت واثقاً من أن الخطوبة كافية للقيام بحيلة الانتهاء من الانتقام، لكن أثناء تجوالنا في البلاد، شعرتُ أن الوسيلة الوحيدة لإقناع الناس وجعلهم يتأكدون أننا جادان بهذا الأمر هي الزواج».

شحب وجه جاكوبا، وهي تسأل: «وهل... نبقى متزوجين؟».

- أجل.

أمسك ماركو بيدها، وشعر على الفور بتسارع نبضها تحت لمسة إبهامه. سألها: «هل سيكون زواجنا بهذه الصعوبة بالنسبة لكِ؟».

أبطأ سرعة السيارة ليتجنب رجلاً عجوزاً منحني الظهر، يسير على مهل، ويقود حماره. رفع الرجل نظره، وعرف السيارة. أشرق وجهه بابتسامة حارة، ولوّح لهما. كادت جاكوبا تصرخ. لا يحق له أن يحطم إيمانها الراسخ بأن عليها الرفض.

قالت بمرارة ما إن عاودت السيارة سرعتها: «أنت تشعر أنك مقيد بالواجب نحو وطنك. أليس كذلك؟».

- أجل، وأنت مثلي تدينين بالكثير لهؤلاء الناس.

رمت نظرة غاضبة باتجاهه، فرأت ملامح وجهه القاسية. علقت وهي تشعر بالدموع الحارة تحرق عينيها: «أعلم ذلك، لذا... أجل، سأتزوج بك، من أجلهم ومن أجل مستقبل ألكسا وحياتها».

ضغط بيده على يدها، ثم أبعد يده. قال بنبرة رسمية جداً: «سأحاول أن أكون زوجاً صالحاً لك. ومن المؤكد أنني لن أخونك، ولن أكون عديم الإخلاص لك».

أجابت بهدوء: «وكذلك أنا».

تخلت عن أخر أمل لها بالنجاة. في النهاية، هي ليست المرأة الأولى التي تتزوج رجلاً من عائلة كونسيدين لأسباب تختص بأمن الدولة لا بالحب.

ظنت جاكوبا أن الأمير يعيش في شقة حديثة في أعلى طابق في أحد

مباني وسط المدينة، لكنها وجدت أنه اختار منزلاً بين مجموعة منازل رائعة الطراز مبنية على طراز العصر الجورجي.

قال ماركو، وهو يرافقها إلى غرفة نومها: «تم نقل ملابسك إلى هنا، وأعتقد أنك بحاجة إلى معظم النهار كي تستعدي للحفلة. سأكون في المكتب إن احتجت إلى أي شيء».

بدا هذا أفضل. الحفلة مناسبة لإثارة العجب والإعجاب، وهي تقام لمصلحة دور إحسان تهتم بالصحة النفسية للنساء، اللواتي تعرضن للمرض بسبب تجربة أنواع من مستحضرات التجميل. تم إرسال الدعوات إلى معظم الشخصيات المعروفة والمشهورة، وكل من وصلته الدعوة وافق على الحضور.

لم تكن جاكوبا بحاجة إلى وقت طويل من النهار كي تستعد. شعرت بتوتر في معدتها وهي جالسة وحدها في غرفة نومها، تنتظر أن يدق ماركو بابها. ارتدت ذلك الفستان القرمزي الذي ارتدته خلال تصوير فيلم الإعلان، ورفعت شعرها عالياً بمساعدة أفضل مصفف للشعر، ووضعت الزينة على وجهها. والآن ها هي تعاني من قلق وحيرة، وفراغ يكاد يصل بها إلى حدود الألم.

فكرت بضيق، كان من السهل عليها جداً أن تتخلص من هذا الانجذاب القوي نحوه لو أنه متعلق بها وحدها. ففي كل مرة يكونان معاً، ذلك الانجذاب القوي يحرقها، وفي كل مرة تنظر إلى عيني ماركو ترى الشوق في عينيه الباردتين كالثلج.

لكن هناك أكثر من ذلك الانجذاب الحسي. بالرغم من ترددها في الاعتراف بذلك، فهي تجد أن حضوره يثير عقلها ويشحن أفكارها، كما أنها تعجب كثيراً بنبرة صوته الناعمة عندما يتحدث عن شقيقته.

في تلك اللحظة سمعت صوته. أخذت نفساً عميقاً، وفتحت له الباب، لتجد أن هناك رجلاً برفقته، رجل أمن يحمل صندوقاً مقفلاً.

www.rewity.com Breathless

حدقت به جاكوبا، وشعرت بأعصابها تتفتت وتذوب. فكرت باستغراب أنه يبدو مختلفاً، لكن لا وقت لديها لتكتشف بما هو مختلف الآن.

تمسك ماركو بالنظر إلى عينيها للحظات قليلة، ثم قال بهدوء: «عندما ترتدين هذا الفستان تبدين كمخلوقة خيالية من عالم خيالي».

قفز قلبها من شدة اضطرابها، وقالت هامسة: «شكراً لك».

تملكها الفضول ما إن فتح رجل الأمن قفل الصندوق. قال ماركو وهو يفتح غطاء صندوق الجواهر، ويأخذ منه العقد: «شكراً لك».

نظر إلى جاكوبا، وأكمل: «هل تريدين مساعدة؟».

بدت نبرة صوتها ضعيفة ومتوترة، وهي تجيب: «لا! يمكن أن ينزلق من فوق رأسي».

أخذت السلسلة، وسارت نحو المرآة. تبعها ماركو وهو يحمل القرطين راقبها وهي تضع العقد حول عنقها والقرطين في أذنيها.

قال وهو يضع التاج على رأسها: «سأضع هذا بنفسي، هل يحتاج إلى تثبيت؟».

- لا.

بالرغم من وجود رجل الأمن، شعرت بحميمية تجاهه سيطرت على حواسها بأكملها. حاولت أن تجعل نبرة صوتها طبيعية، وهي تقول، رافعة يديها إلى التاج لتضعه بطريقة أفضل: «يستطيع شعري الحفاظ عليه في مكانه. أرأيت؟».

حاولت أن تبتسم، لكن ابتسامتها بدت مزيفة، وهي تتابع قائلة: «لا أستطيع أن أرقص على أنغام أي موسيقى صاخبة، لكنه ثابت على رأسي، إذا ما تحركت بهدوء».

التقت عيونهما في المرآة؛ عيناه ضيقتان فاحصتان، أما عيناها فغامضتان وهادئتان. شعرت جاكوبا بأنفاسها تُحبس في حلقها. للحظة، لم تتمكن من سماع أي شيء سوى تدفق الدماء في عروقها،

ولم تشعر إلا بالفرح الحلو المر بالقرب منه. احتاجت إلى كل ما تملكه من إرادة وقوة لتتمكن من النظر بعيداً عن عينيه، ومن دون أن تدرك، مدت يديها إلى القفازين محاولة أن تلهي نفسها بعملية ارتداءهما.

أجبر ماركو نفسه على التنفس ببطء، ليضغط على اندفاع عواطفه، التي تؤثر على عقله والمنطق السليم المعروف عنه.

إنها رائعة! امرأة خيالية من قصة خيالية... خطيرة وجذابة تماماً كما هي ذكية. الحرير القرمزي يلتف حول خصرها الضيق ليضفي عليهما جمالاً لا يوصف.

الشوق إلى معانقتها يسيطر عليه بقوة ويخترقه كالألم. رفعت جاكوبا نظرها، وكأن أفكاره عبرت عن نفسها بطريقة علنية. بسرعة طغى لون وردي على بشرتها، وللحظة طويلة أخرى التقت عيونهما.

سألها، قاطعاً الصمت المتوتر بينهما: «هل أنتِ جاهزة؟».

- أجل.

شبكت أصابعها ببعضها لتتمكن من تمسيد طيات القفازين. التقط ماركو الشال الحريري الملقى على ظهر الكرسي، ثم وضعه حول كتفيها وقال: «لنذهب إذاً».

صعدا إلى المقعد الخلفي في سيارة الليموزين، وصعد رجل الأمن إلى المقعد الأمامي. علقت جاكوبا بنبرة هادئة: «أتمنى أن تكون قد أمضيت يوماً مثمراً».

أدار ماركو رأسه، ونظر إلى وجهها الجميل الأنيق. بدت شفتاها الممتلئتان رائعتين تحت أضواء شوارع لندن.

- كان يوماً ممتازاً في الواقع. شكراً لك. ربما يعود السبب إلى أنني أشعر بالسعادة في حياتي في هذه الأثناء.

قال ذلك بكل بساطة، ثم مدّ يده ليمسك بيدها، ولفّ أصابعه حول أصابعها.

www.Rewity.com Breathless

قفز قلب جاكوبا من مكانه. حدقت به متفاجئة قبل أن تدير رأسها لتحدق بالطريق من جديد، والأفكار تتسارع في رأسها.

ما الذي يقصده بكلامه؟ إنه يبدو متكبراً، ولا يمكن مجادلته كالعادة، لكن شيئاً ما في نبرة صوته أعلمها أن هذه السعادة التي يتحدث عنها لها علاقة بها.

خاطرت بالنظر إليه ثانية، فلربما يظهر انعكاس الأنوار في الخارج رقة في ابتسامته. أمل طفيف أزهر في أعماقها، لا سيما أنهما يمسكان بيدي بعضهما بصمت. تابعا رحلتهما عبر الشوارع، ليصلا إلى مكان إقامة الحفلة، وما زال السحر يسيطر عليها.

هناك واجها العديد من أضواء آلات التصوير والكثير من الأسئلة الفضولية. أجبرت جاكوبا نفسها على التصرف كما تفعل أثناء العمل، متجاهلة معظم الأسئلة الملتوية، ومجيبة عن الأسئلة الموجهة إليها مباشرة، ومصغية مع ابتسامة دائمة على وجهها لتعليقات ماركو وطريقته في تولي الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه.

لكن أحد الصحافيين الماكرين سألها: «أصحيح أن خطوبتكما هي مجرد حملة إعلانية لزيادة الإقبال على العطر الجديد؟».

رفعت جاكوبا حاجبيها، وأجابت قائلة: «تعقل وفكر بمنطق أكبر».

علق ماركو بنعومة: «إن كنت لا تستطيع معرفة الفرق بين حقل الإعلام والحياة الحقيقية، فأنت في المكان الخطأ وفي المهنة الخطأ».

- إذاً ما رأيكما في عناق علني، فقط لتبرهنا ذلك؟

أمسك ماركو بيد جاكوبا، وأجاب بسخرية: «ليس علينا أن نبرهن أي شيء لأي كان».

ورافق جاكوبا إلى داخل المكان.

ما إن أصبحت في الداخل، حتى جالت جاكوبا بنظرها على القاعة الكبيرة. على كل طاولة وُضعت تحفة صغيرة من الذهب عليها شموع

مضاءة. بدا السقف مرصعاً بأنوار تبدو كالنجوم، وحتى الثريا فهي من ذات النوع الذي استعمل أثناء تصوير المشاهد الإعلانية.

قالت ما إن اقتربا من طاولتهما: «إنها تبدو تماماً مثل المكان الحقيقي».

- تفاجأتُ كم يشبه هذا المكان المطعم في أعلى الجبال.

بدت نبرة صوته عميقة وواثقة، كأنه يدعمها بشكل لا حد له.

قالت بدون أن تفكر: «أنا أيضاً، لكن ذلك الفيلم الذي أُعد خصيصاً لك، هو مجرد مسرح من الأوهام والتخيلات».

- تماماً مثل الكثير من الأمور في الحياة العصرية.

بدل ماركو الموضوع، وهو يتابع: «أنت تضعين القليل من العطر فوق بشرتك، كما لاحظت».

قُدم لها قارورة صغيرة من العطر الباهظ الثمن. قالت: «بالطبع. وكما لاحظت، هناك القليل منه لكل امرأة هنا. متى سنعرف الاسم الذي أطلقته عليه؟».

- بعد عرض فيلم الفيديو.

مرت السهرة بهدوء وجمال ساحرين. تبين أن الأمير هو المسؤول عن كل شيء هنا، فالطعام أكثر من شهي، والشراب فاخر ومميز، وكلمة ماركو قصيرة، لكنها معبرة وشيقة.

في نهاية كلامه، استدار نحو جاكوبا، ومدّ يده قائلاً: «سيداتي سادتي، أقدم لكم وجه الأميرة جاكوبا سنكلير».

تعالت أصوات التصفيق والتهليل في القاعة الكبيرة، فنهضت جاكوبا لتقف قربه، ثم تنحني باحترام كبير للجميع. ابتسمت بفرح، وهو يمدح دورها في الفيلم بمرح واحترام.

تحدث ممثل دور الإحسان بكلمة مليئة بالعاطفة والتقدير، ثم خفتت الأضواء وتم تقديم الفيلم على شاشة ضخمة.

www.Rewity.com Breathless

إنها المرة الأولى التي ترى فيها الفيلم بأكمله، راقبت جاكوبا الفيلم بعينين ثاقبتين ومترقبتين.

بعد أن انتهى عرض الفيلم قام الجميع بالتصفيق له، وبدأت الفرقة الموسيقية بعزف موسيقى هادئة وناعمة.

قال ماركو، وهو يقف: «هذه رقصتنا».

تجاهلت جاكوبا ومضات آلات التصوير، والتجأت إلى ذراعيه. بدت كل خلية في جسدها متوترة، مع ذلك أبقت عينيها على الراقصين من حولهما. فاجأت نفسها وهي تسأل: «هل فكرت يوماً أن المال الذي يُدفع على مثل هذه الأمور يمكن صرفه بطريقة أفضل؟».

أجاب ماركو بهدوء: «هذا أمر طبيعي، لكنني أقوم بهذا كله من أجل أمر واحد فقط، هو الحصول على مال كاف لإعطاء شعب إيليريا إمكانية الدخول إلى العصر الحديث. هناك أمور أخرى بالطبع أود القيام بها، وأقلها السعادة التي يؤمنها العطر لملايين النساء».

توقف للحظة قبل أن ينهي كلامه بنبرة جعلتها تحبس أنفاسها: «ولرجالهنّ أيضاً».

- ألهذا السبب أنت تزيل كل العوائق من أمام هذا الإعلان؟

صمت قليلاً قبل أن يجيب: «أجل، ولسبب آخر أيضاً. عندما أقدم على عمل ما، أحب أن أفعل ذلك بطريقة صحيحة، تصل إلى حد الإتقان إن لم نقل الكمال، مثلك تماماً».

حدقت به متفاجئة، وسألته: «كيف تعرف ذلك عني؟».

تحركت كتفه تحت يدها.

- راقبتك أثناء التصوير. لديك دائماً اقتراحاتك الخاصة، ومع أن المخرج انزعج منها، لكنك قمت بعملك بكل ما لديك من طاقة ومجهود. هل فكرت يوماً أن تصبحي ممثلة؟

حاولت جاكوبا أن تخفي نبرة السخرية في صوتها: «لا! أصاب

بالملل بسرعة، والتمثيل هو مجرد ساعات طويلة من العمل الممل».

- إذاً ما الذي كنت تخططين للقيام به في حياتك، ما إن تنتهي من عملك كعارضة أزياء؟

شعرت بتوتر يجتاحها، توتر قوي، خطير ولذيذ في الوقت نفسه. أجابت: «كنت سأعود إلى نيوزيلندا لأعمل في كتابة القصص».

- القصص؟!

- قصص للأطفال وللمراهقين، وللبالغين إن استطعت.

أبقت نظرها على مزيج الألوان الذي يعكسه الراقصون، وهم يتمايلون أمامها مع أنغام الموسيقى.

- نشرت حتى الآن كتابين للمراهقين.

فاجأه كلامها، وشعرت جاكوبا بالسعادة من جراء ذلك.

قال ماركو بهدوء: «امرأة موهوبة بالفعل. ولماذا لم أسمع بهما بعد؟».

- من المحتمل... لأنك لست مراهقاً، كما أنني نشرتهما تحت اسم مستعار.

أضاءت على الفور، وقبل أن يتمكن من سؤالها: «لا، ليس السبب أنني أخجل بهما، بل لأنني لا أريد لشهرتي أن تؤثر في انتشارهما. أردت أن يقبلا بسبب أهميتهما الفعلية».

- كلام صحيح تماماً! وهل حصل ذلك؟

أجابت بهدوء: «إيراد المبيعات جيد، كما أن التعليقات عليهما ممتازة في الواقع».

في كل مرة تكون فيها مع ماركو، تجد أن عليها مقاومة الرغبة الشديدة في البوح له بكل مكنونات نفسها، مع أنها تعلم أن لديه اهتمام قليل جداً بشخصيتها الحقيقية الكامنة تحت جسمها الفاتن. آه، إنه يشعر بالانجذاب نحوها، ويستمتع برفقتها، لكن في إيليريا أدركت أن

www.Rewity.com Breathless

ولاءه الأول سيكون دائماً لبلاده، في حين أنها مفتونة وشديدة التأثر به، وفي كل يوم تمضيه قربه يزداد حبها له ويتضاعف، حب سيبقى من طرف واحد، ولن يبادلها إياه. هي لا تملك أي وسيلة لتحمي نفسها من هذه العواطف، والزواج يعني أنها ستستسلم وتضحي بكل ما لديها.

اقترب زوجان منهما، ومن ارتفاع صوت ضحكاتهما، علم ماركو أنهما لا يهتمان كثيراً للخطوات المتبعة في الرقص. من دون أن يتوقف عن الرقص ضمها إليه، لكي يحميها من الاصطدام بهما، وهما يرقصان دون دقة أو سيطرة.

انحبست الأنفاس في صدر جاكوبا. ها هي بين ذراعيه، وخطواتهما متوافقة بشكل مثالي، وهي تشعر بذلك الإحساس نفسه من الأمان والراحة.

سألها ماركو: «هل أنت بخير؟».

بطريقة ما تمكن من جعل تلك الكلمات تظهر، وكأنه يتودد إليها.

- أجل. شكراً لك.

بدت نبرة صوتها بعيدة، وكأنها تمثل، لكن لا أحد ولا شيء قد يتمكن من إلغاء تأثير هذه اللحظات الغالية في حياتها.

لم يخفف من ضغط يده على كتفها، فبقيا صامتين حتى انتهت الموسيقى، ثم عاد برفقتها إلى طاولتهما، وتوقفا على الطريق ليتقبلا التهاني.

سيطر على جاكوبا تعب كبير. رفعت كتفيها، وأجبرت نفسها على التركيز والمثابرة. راحت تبتسم وتبتسم وتبتسم، ورقصت مع كل واحد من الأشخاص البارزين على الطاولة، وبدت كأنها تستمتع كثيراً بما يجري معها وحولها.

أخيراً انتهت السهرة. ما إن وصلا إلى بيته في ضواحي المدينة، حتى شعرت بذلك الشوق يسيطر عليها من جديد، وينبعث في عروقها.

قالت بنبرة هادئة: «كانت سهرة رائعة، وأنا متأكدة أن العطر سيلقى نجاحاً منقطع النظير، وسيتم بيعه بطريقة لم يسبق لها مثيل. فالاسم بحد ذاته ملهم ومشوق».

قال ماركو: «الفضل يعود إليك».

بدت نبرة صوته بعيدة كأنه يتكلم بدون تركيز. بدا وجهه قاسياً ومتعباً، وكأن السهر حتى وقت متأخر قضى على حيويته وقوته. لا! فكرت بانبهار، وهي ترفع نظرها إليه، فهو غير متعب. إنه يركز بشكل كلي عليها، وما يفكر به واضح جداً.

شعرت بالحماس يسيطر عليها، وكأن ناراً متقدة اجتاحت بشرتها، أو كأنه عانقها بالفعل. وجدت جسدها المشتاق إليه، يميل نحوه بشوق ولهفة لا يمكن مقاومتهما.

www.Rewity.com
Breathless

١١ - شكراً أبي!

سمعت جاكوبا نفسها تقول بصوت ضعيف: «ماركو، لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة».

- أعلم، لكن الآن يبدو أن هذه هي الفكرة الوحيدة التي تشغل بالي وتسيطر علي.

قال ذلك بنبرة تدل على أنه بحاجة إليها، ما جعلها ترتجف من الشوق.

أخطأت بالنظر إليه، إذ كادت تشهق من الشوق الواضح على ملامح وجهه. شيء ما تمزق في داخلها، قاضياً على أي تماسك لديها.

حتى الآن هو لم يلمسها. نظر إليها ماركو بعينين ملتهبتين، وهو يقول بنبرة ناعمة: «أنت تقودينني إلى الجنون. راقبتك وأنتِ ترقصين، وفي كل مرة كان أحد الرجال ينظر إليك، كنت أشعر برغبة في ضربه».

تفاجأت جاكوبا من صدقه، واعترفت قائلة: «يبدو أن ذلك الجنون يعمل في الاتجاهين».

بعد أن أصبح التوتر خارجاً عن السيطرة، ضمها ماركو إليه، ممسكاً بها وكأن تلك اللحظات الطويلة وهو يشعر بها بقربه كافية له، ثم خفف من ضغط يديه.

علمت جاكوبا أن عليها أن تمنع نفسها من الاستسلام لعناقه، لكنها أدركت أن هذا ما كانت تنتظر القيام به طوال السهرة.

تنهيدتها تحولت إلى شهقة، وهو يقول: «تعالي معي».

فكرت جاكوبا أنها قادرة على اللحاق به إلى أي مكان.

ما إن أصبحا في الداخل حتى وقف يراقبها وعيناه تلمعان كالكريستال من شدة الحرارة مع ألسنة زرقاء اللهب. تابع وكلماته تصلها كأنها تداعبها: «رقيقة جداً... كالحرير».

عانقها هامساً في أذنها: «ما هو السحر المخبأ في ذلك الشعر الذي يشبه الغروب في المناطق الاستوائية، وهذه البشرة الشبيهة بالقشدة، والعينين اللتين تبدوان كنفحة دخان في السماء الزرقاء؟».

انقبضت يداه بدون إرادة منه، عندما وضعت راحة يدها فوق قلبه، ثم همست: «عندما تقترب مني أفقد كل حس بالمنطق السليم».

حدقت بأصابعها الطويلة الأنيقة على صدره، وهي تشعر بدقات قلبه.

قال: «هذا ما تفعلينه بي أيضاً. لطالما اعتبرت نفسي رجلاً متحضراً. لم أعتبر يوماً أن العلاقة بين شخصين تتم من دون التوافق والانفتاح، لكن كل ما أعرفه الآن هو أنني لا أرغب في الابتعاد عنك».

مع أن الكلمات بدت مبتذلة حتى بالنسبة إليه، إلا أن وجهها تلون بأكثر من لون. ابتسمت له جاكوبا، وفي تلك الابتسامة البطيئة الساحرة رأى الشوق إليه، بالإضافة إلى المقدرة والفتنة التي اتصفت بهما كل الأميرات اللواتي عشنّ في محيط البحر المتوسط في الزمن القديم، أولئك النساء اللواتي كنّ سبب الحروب والسعادة معاً.

أمسكت جاكوبا يده، ووضعتها فوق قلبها، وهي تقول ببساطة: «أعرف ذلك».

اقتربت منه أكثر، كي يضمها بين ذراعيه، وكأنها تنتمي إليه...

همست قائلة:

- أنت لا تستطيع الهروب من قدرك.

www.Rewity.com Breathless

بعد دقائق طويلة قالت: «لم أكن لأصدق أن الانجذاب بين شخصين يمكنه أن يولد مثل هذا السحر».

ابتسم لها ماركو، وعلق: «ولا أنا، يا حبيبة قلبي».

استيقظت جاكوبا في صباح اليوم التالي، فوجدت ماركو مستلقياً، وهو يغط في النوم. راقبت أنفاسه وهي تتصاعد ببطء وتهبط في صدره.

رغبت في أن تقترب منه وتلمسه، لكنها لم تجرؤ. إنهما مخطوبان، وهي وافقت على الزواج به، لكنه لم يعطها أي إشارة تدل على الارتباط العاطفي بينهما، أو أي عهد بالحب إلى الأبد.

فكرت بحزن، أنها لم تغرم إلا بالأمير ماركو كونسيدين من بين كل رجال العالم، فكيف ستتمكن من إنقاذ روحها، وهي تشعر بكل هذا الشوق ليبادلها حبها؟

ظلت مستلقية لدقائق طويلة، تصغي إلى الضجيج الواضح للمدينة، وهو عبارة عن غمغمة منخفضة لا تتوقف أبداً. فكرت أنها هنا في واحدة من أكبر مدن العالم، بالقرب من الرجل الذي تحب، عملها في الذروة، ومستقبلها المادي مؤمن، لكنها لم تشعر يوماً بمثل هذه العزلة والوحدة. كما أنها ضائعة وخائفة.

وأدركت أن عليها بكل بساطة أن تستمر وتتحمل. ضغطت على شفتيها بقوة. ففي النهاية هي ليست المرأة الأولى التي تواجه مثل هذا الموقف الصعب. لا بد أن هناك الكثيرين من سلالة ماركو تزوجوا لأسباب توافقية.

ماركو لديه أسبابه، فهو يضحي بنفسه من أجل شعبه، آملاً أن يقدم له وجهة نظر أكثر حضارة وتمدناً في تعامله مع الأمور. أما هي، فالأمر بالنسبة لها يبدو شخصياً وأكثر أهمية. إنها تريد حماية أختها وإنقاذ حياتها. كما أن هناك هذا الانجذاب الحسي نحو بعضهما... إنها تحترمه كثيراً، وتعتقد أنه الآن يتعلم كيف يحترمها. في المستقبل

سيبنيان مؤسسة متينة، وسينجبان أطفالاً، يومها ستتوقف عن الشوق للشمس والقمر والنجوم... وملأت الدموع عينيها...

فجأة، سمعت صوت ماركو الذي استيقظ، وقال بنبرة متفاجئة وخشنة: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

لم تشأ أن يرى دموعها، فأشاحت بوجهها إلى أن تماسكت وتمكنت من السيطرة على نفسها. نهضت من السرير وهي تقول: «أنا... أحتاج إلى الاستحمام».

قال ماركو وهو يشير برأسه إلى الجهة الأخرى من الغرفة: «ستجدين المناشف في الخزانة خلف هذا الباب. أما أنا فسأستحم في غرفتي وأعود لأرافقك لتناول الفطور. علينا أن نلتحق بالطائرة عند الساعة العاشرة. اتفقنا؟».

وجد نفسه يبتسم من خجلها المحبب، تعجب من الإحساس بالغيرة الذي يشعر به حيالها. هو لم يعانِ من هذا الشعور من قبل، وهذا دليل آخر على التناقض الواضح بين ما شعر به نحو كل النساء اللواتي عرفهن من قبل وبين شعوره نحو جاكوبا. إنها ببساطة مختلفة! لو أنهما التقيا في مكان وزمان آخرين، دون حمل الماضي الثقيل الذي لا يرحم أبداً... تعمد إبعاد هذه الفكرة عن رأسه، فالقدر قام بتقييدهما، وعليهما الطاعة واللعب على وقع وهواه.

قرر أنه بحاجة إلى قضاء بضعة أيام بعيداً عنها لتوضيح أفكاره. تغير شيء ما في علاقتهما، وهو لا يستطيع أن يفهم جيداً ما يحدث. أهو الحب؟ لوى شفتيه. صمم دائماً أن يكون منطقياً في تعامله مع الحب، فزواج والديه كان تعيساً، لذا تعمد الحذر في أمر الزواج، هو يبحث في عروس المستقبل عن أكثر من وجه جميل وجسد جذاب.

لكن... تباً! لا شيء في علاقته مع جاكوبا له علاقة بأي منطق.

www.Rewity.com
Breathless

اصطدمت هذه المرأة بحياته كأنها ضرب من ضروب الخيال، فأثارت دهشته وأحاسيسه، وأفقدته السيطرة على نفسه.

غادر غرفته وهو يفكر بضيق أن عليه ألاّ يراها أو يلمسها، أو حتى يفكر بها لأنها تحطم الذكاء والمنطق اللذين رافقاه طوال حياته، وهما اللذان أعطياه قوة الإدراك التي يملكها ونفاذ البصيرة الذي يتمتع به. جاكوبا قلبت حياته رأساً على عقب، ومع أنه يتوق إليها أكثر مما يستطيع أن يتحمل، لكنه ما زال لا يعرف إلا القليل عن شخصيتها الحقيقية، فبعيداً عن جمالها الفاتن وكرمها في الحب والحياة، تعمدت أن تكذب عليه بشأن شخصيتها الحقيقية... لكنها تشعر بخوف حقيقي على سلامة أختها...

فكر بانزعاج، أن لديها كل الأسباب لتفعل ذلك. فالاسم الحقيقي لألكسا هو ألكسا كونسيدين، وهي في خطر حقيقي بالفعل، وهذه مشكلة أخرى معقدة في عمله الصعب.

* * *

قطبت جاكوبا جبينها، وقالت: «علي الذهاب معك، فهي أختي».

أجاب ماركو بفقدان صبر: «لهذا السبب لا تستطيعين الذهاب، فأنت مشهورة. كلما تمكنا من إخفاء قضية انتقالها إلى هنا، فذلك أفضل».

ارتاحت قسمات وجهه عندما رأى الموافقة على ملامح وجهها. ابتسم وهو يتابع: «كما أنني أريدك أن تبقي بأمان هنا في عرين الذئب أثناء فترة غيابي لإحضار ألكسا».

اضطرت جاكوبا إلى الموافقة، وعضت على شفتها. تابع ماركو مخففاً عنها: «لا تقلقي! سنسافر في طائرة خاصة، ومع قليل من الحظ سنعود قبل أن يلاحظ أحد أنني سافرت. عينت لك حارساً ليذهب برفقتك عندما ترغبين بمغادرة القلعة، لكنني سأشعر بالامتنان لك إن

بقيت داخل القلعة».

رمته بنظرة غاضبة، لكنها هزت رأسها موافقة، وقالت: «آمل ألاّ نمضي ما تبقى من حياتنا في هذا المكان المقفل».

- تعلمين أن ذلك لن يحدث أبداً.

مدّ يده ليودعها بتردد. أمسكت جاكوبا بها، وتركت نفسها ليضمها بين ذراعيه. لم يحاول أن يعانقها، بدلاً من ذلك أراح خده على رأسها.

قال بنبرة عميقة جعلتها ترتجف من الشوق: «اشتاقي إلي».

- تعلم أنني سأفعل.

لكن هل سيشتاق لها؟ لا فكرة لديها عمّا يشعر به نحوها. تساءلت جاكوبا إن كانت هذه هي الطريقة التي يتعامل بها مع كل النساء اللواتي عرفهنّ قبلها، أم أنه يشعر بشيء مختلف نحوها. مع كل الحب الذي تكنه له، هي لا تستطيع التخلي عن الأمل بأنه يحبها، لكن بشكل مختلف وعلى طريقته.

أكد لها أن ألكسا ستكون أكثر أماناً إن قبلت بها عائلة كونسيدين، وهي تصدقه، لكن إحساساً في داخلها جعلها ترتجف.

ضمته إليها بقوة وهي تقول: «اعتنِ بنفسك».

أخيراً عانقها، ثم ابتعد عنها بتردد واضح. هذا ما جعلها تبقى هادئة البال خلال الأيام التالية في عرين الذئب. مع غياب كل شخص آخر من القلعة، تساءلت إن كان هذا هو قدرها؛ أن تبقى معزولة ووحيدة في مكان غريب.

وبخت نفسها قائلة: «الإشفاق على النفس يسبب الموت».

استاءت من نفسها، وقررت أن تتعرف بقدر ما تستطيع على هذه البلاد، وعلى العائلة التي حكمتها منذ زمن طويل.

تفهمت ماريا مدبرة المنزل طلبها، ورحبت بقرارها. أخذت جاكوبا

www.Rewity.com Breathless

تحت جناحيها، ورافقتها عبر أقسام القلعة، التي لا يزال معظمها شاهداً على أعمال الديكتاتور وذوقه.

- قريباً ستتم إعادة تزيين القلعة وتبديل أثاثها، فالليدي سارة لديها خطط كبيرة لها.

قالت المرأة العجوز لها ذلك بفرح ورضى، في اليوم المنتظر لوصول ماركو برفقة ألكسا. ابتسمت عندما رأت جاكوبا تقطب جبينها، وهي تنظر إلى ساعة حائط كبيرة معلقة وسط صورة زيتية لامرأة جميلة.

- ستمر ساعتان بعد، قبل أن يصل الأمير ماركو وأختك، لِمَ لا تقومين بالسباحة أثناء هذا الوقت؟ سيساعدك ذلك على تمضية الوقت بسرعة أكبر.

قالت جاكوبا: «هذه فكرة جيدة».

تحتل بركة السباحة مساحة لا بأس بها في القلعة، كان المكان في السابق ساحة للمبارزة بين الفرسان. ليس هناك غير برج صغير يطل على المنطقة. قالت لها ماريا: «يرغب الأمير غابرييل بتحويل المكان إلى منزل صيفي، لكنه خالٍ الآن».

سبحت جاكوبا حتى شعرت بالإرهاق، ثم جففت جسمها، ورفعت نظرها إلى القلعة. أخبرها ماركو أنه لم يتم يوماً احتلالها، وهي الآن تستطيع معرفة السبب، فالجدران الحجرية العالية تقف كالبرج فوق الوادي. ألكسا ستكون بأمان في هذا المكان، لكنها لا تستطيع البقاء هنا حتى آخر يوم في حياتها.

يا إلهي! كم تتمنى أن يكون ماركو وأخوه وابن عمه، الأمير الذي يحكم هذا المكان الرائع على حق، بافتراضهم أن كون ألكسا فرداً من عائلة كونسيدين سيجعلها بأمان.

ارتجفت، وشعرت بوخز في بشرتها. من الحماقة أن تشعر أن هناك شخصاً ما يراقبها. من المحتمل أن هناك من يراقبها، كخادمة من خلال

إحدى النوافذ الضيقة أو ربما ماريا... لكن في نهاية الأمر، الاحساس الغريب دفعها لتنهض على قدميها. التقطت منشفتها، وسارت نحو البرج الصغير الذي كان في السابق مليئاً بالحمام. شعرت بالإثارة من فكرة أن أسلاف ماركو كانوا يستعملون الحمام كرمز للسلام. أخبرتها ماريا أنهم كانوا أيضاً يأكلون لحم الحمام في الشتاء. بالطبع! لا بد أن حياتهم وحياة من أتوا بعدهم، اعتمدت على تلك الوسائل للبقاء على قيد الحياة. تجولت في المكان، واقتربت من مرجة صغيرة تحيط بها أحواض الزهور، لا يمكن رؤيتها إلا من نوافذ البرج الصغير فقط.

انحنت جاكوبا لتتنشق عطر وردة، وفي اللحظة ذاتها وضع شخص من وراءها شيئاً ما في ظهرها بدا كأنه مسدس، وسمعت صوت رجل يقول باللغة الإيليرية بصوت خشن: «إن صرختِ سأقتلك. سيري نحو باب البرج».

أحست بصدمة قوية شلّت حركتها. دفعها الرجل فجأة باتجاه الباب. احتاجت إلى لحظة أو أكثر ليهدأ رعبها قليلاً، ولكي تتمكن من القول: «من أنت؟ وماذا تريد مني؟».

تمتم الرجل: «ادخلي من هنا».

ودفع بماسورة المسدس إلى عمودها الفقري.

استجمعت جاكوبا كل ما لديها من شجاعة لتتابع، ثم توقفت عن المسير، وقالت: «لن أدخل إلى هناك، فالمكان مظلم».

- وأنت تخافين من الظلام، أيتها الماكرة وصاحبة الشعر الأحمر. أليس كذلك؟

تسارعت الأفكار في رأسها، وعلمت أنها ما إن تصبح في الداخل حتى تتضاءل فرص نجاتها. هل تصرخ؟ لكن، لا! حتى أعلى صرخة ممكنة ستضيع، ولن يسمعها أحد. تحركت ببطء بقدر ما تجرؤ، وهي تقول: «أريد أن أعلم إلى أين ستأخذني».

www.Rewity.com Breathless

- إلى الجحيم.

تابع بعد قليل: «لتنضمي إلى أمك الخائنة وإلى الرجل الذي قتل والدك ووالدي».

- حسناً! يمكنك أن تطلق النار علي هنا في الخارج وتحت أشعة الشمس.

قالت ذلك، وهي تعلم أنه فات الأوان لتتمنى لو أنها تعلمت بعض الوسائل للدفاع عن النفس، لكنها لن تسير بضعف وجبن نحو الموت.

شعرت بالدماء تضج في عروقها، فاستدارت بسرعة وهي تلوح بذراعيها بقوة وتشد على قبضتيها. طار المسدس في الفضاء، فأسرعت لالتقاطه، لكن الرجل لكمها على معدتها تماماً تحت قلبها، فشهقت وسقطت على ركبتيها. بالكاد لاحظت أنه خطف المسدس من يديها. شعرت بثقل في صدرها، وهي تحاول جاهدة أن تتنفس، كما أن دماغها شُلّ وأصيب بالخدر.

قال بنبرة عالية: «سيري، أيتها المخادعة. سيري إلى الأمام».

كان من المستحيل على جاكوبا أن تطيعه، فهي لا تزال منحنية، وبالكاد تستطيع سماعه عبر الأزيز في أذنيها وصوت أنفاسها المتقطعة. أدركت أنه يربط يديها خلف ظهرها، ثم يربط كاحليها بمهارة مؤلمة وقاسية. أخيراً رفعها عن الأرض ورمى بها على كتفه. حاولت أن تضربه بركبتيها، لكن جسدها كان تحت تأثير الضربة التي تعرضت لها، لذا لم تستطع أن تستجمع أي قوة في ساقيها.

إنه قوي جداً، لأنه على الفور تقريباً بدأ بنزول درج مضاء بأنوار باهتة، توصل إلى مكان مظلم جداً.

أجبرت جاكوبا نفسها على البقاء هادئة، لكي تستعيد قوتها وقدرتها الطبيعية على التنفس. في اللحظة التي سبقت ضربه لها، رأت وجهه. فكرت باندهاش، أنه لا يبدو مجرماً. لكن... لو أن القتلة يبدون

على حقيقتهم، لتجنبهم الناس، ولما تعاملوا معهم أو وثقوا بهم. تملكها خوف هستيري. ضغطت على أسنانها، لتتمكن من مقاومته والتخلص منه.

إنه أطول منها، وهو أسمر البشرة ووسيم بالرغم من ملامحه القاسية. وجهه أسمر داكن، وهناك جرح يمر من صدغه الأيسر حتى ذقنه، لكنها تظن أنه لا يكبرها بأكثر من عشر سنوات. تلك اللمحة الوحيدة لوجهه أعلمتها أنه مصمم على قتلها، وما إن يفعل ذلك، حتى يكمن في مكان ما بانتظار ألكسا.

خنقت شهقة رعب كادت تصرخ بها. لا! ماركو سيعمل كل ما بوسعه ليتأكد من أن تبقى ألكسا بأمان. قرأت مرة، في مكان ما، أن أفضل طريقة للدفاع عن نفسك، هي أن تجعلي الخاطف يدرك أنك إنسانة مميزة.

ما إن تخلصت من أعراض الدوار والغثيان، وعادت دقات قلبها منتظمة، حتى سألته بهدوء: «هل ضربتني على فم المعدة؟».

زفر الرجل بضيق، ولم يجبها على سؤالها.

قالت: «لم يحدث هذا معي من قبل. اعتقدت أنني سأفقد الوعي من شدة الألم».

علق بقسوة: «هذه الضربة تعيق عمل بعض الأوردة الهامة، لكن لن يكون هناك أي ضرر دائم. اطمئني».

أجبرت جاكوبا نفسها على عدم الضحك بعصبية. بالطبع! لن يكون هناك أي ضرر دائم، فبعد دقائق قليلة ستصبح ميتة. بعد فترة من الصمت، سألته: «هل أنت طبيب؟».

توتر جسده، ووضعها على الحجارة الباردة. هذه الحركة المفاجئة أرعبتها، ما جعلها تصرخ بقوة. عندما صمتت، قال لها بغضب واستياء: «لا».

www.Rewity.com Breathless

أنار المشعل المعلق على الجدار، وقال وهو يشرح لها بنبرته القاسية: «هذه زنزانة. والدك توفي هنا. ربما تأتي روحه لزيارتك، وأنت هنا بانتظار الموت».

سمعت صوتها، الذي بدا غريباً من شدة الخوف، وهي تقول: «ماذا تقصد بكلمة انتظار؟ اعتقدت أنك ستطلق النار علي».

قال: «أمضيت الكثير من الوقت هنا».

ثم استدار، وغادر. أغلق الباب وراءه تاركاً إياها في ظلام دامس.

صرخت جاكوبا بصوت عالٍ، لكن... مع أنها سمعت وقع أقدامه تبتعد، إلا أنه لم يعد أو يستجب لصراخها.

في البداية اعتقدت أنها ستجن، لكنها قاومت الرعب بكل ما لديها من دفاعات. قالت وصوتها يرتجف في ذلك الظلام: «أولاً علي أن أعيد يدي إلى الأمام، فهو لم يقفل الباب. إن تمكنت من القيام بذلك، فقد أستطيع أن أفك قيد رجليّ، ثم سأتمكن من المغادرة».

شكرت إرادتها القوية، التي دفعتها للذهاب دائماً إلى النوادي الرياضية، لذا يتحلى جسمها بمرونة طبيعية. تمكنت من تمرير ساقيها من بين ذراعيها، مع أنها أحست بالحبل كأنه يقطع بشرتها. في نهاية الأمر، وبعد ذرف الدموع والمقاومة الشديدة، نجحت في القيام بذلك، وبدأت بنزع الرباط عن قدميها. فقط لو أنها تملك مصباحاً....

مع أن الرجل عقد الرباط بسرعة، إلا أن العقدة بدت متماسكة جداً. أخيراً، وبعد أن بدا الوقت كأنه ساعات طويلة، أحنت رأسها باتجاه ركبتيها، وبكت وهي تشعر بإحباط شديد، حتى شعرت أن لا قدرة لديها على البكاء أكثر. صوت ناعم جعلها ترفع رأسها عالياً. إنها أصوات الفئران، فكرت بذلك وهي تشعر برجفة من الرعب، أو ربما أصوات خفافيش؟ فتحت عينيها على وسعهما، وحدقت بالظلام، وهي تعض على شفتها كي لا تصرخ. شعرت بجسدها ينكمش، فحبست

أنفاسها، وأصغت بتوتر شديد.

أخيراً، عندما لم تسمع أي صوت آخر، استرخت، وبدأت من جديد محاولة التخلص من العقدة على قدميها. عليها أن تخرج من هنا!

أحقاً مات والدها هنا، أم أن ما قاله الرجل هو مجرد أكاذيب ليجعلها تخاف أكثر؟ أخبرتها أمها أنه مات في الكمين الذي نُصب له. هل كذب باولو كونسيدين على المرأة التي تزوجها؟

فكرت باستياء، من المحتمل أنه فعل ذلك. شدت بقوة على العقدة الأولى، وأدركت غير مصدقة أنها تبدو أقل تشابكاً، وعلى الفور انتعش الأمل في داخلها. حبست أنفاسها، وعملت ببطء أكثر. إن سحبت الحبل بقوة ستشد العقدة من جديد حول قدميها. ببطء وبخفة تمكنت من نزع نهاية الحبل.

قالت باللغة الإليرية: «شكراً لك، أبي!».

العقدة الثانية بدت أكثر صعوبة، فأصابعها متعبة وهي تشعر بالبرد، لكنها أجبرت نفسها على المتابعة حتى تمكنت في النهاية من نزع الحبل، وباتت قادرة على تحريك قدميها.

احتاجت إلى وقت طويل لتتمكن من الوقوف، فعضلاتها متشنجة بسبب البرد والتوتر. أمضت بعض الوقت جاثية على ركبتيها قبل أن تتجرأ على النهوض والوقوف على قدميها. اندفعت الدماء بألم في عروقها، فتنهدت وهي تشهق من الألم. أدركت أنها جائعة، وتشعر بالعطش أيضاً، كما أنها في حالة يائسة.

تجاهلت كل شيء يدور في فكرها، وسارت تترنح إلى الأمام. مدّت يديها أمامها. تعثرت فجأة عندما اصطدمت بزاوية شيء ما، وضربت رأسها. عليها أن تجد الباب... عندما وجدت يدها المتلهفة الباب الخشبي السميك، راحت تتلمس طريقها بقدر ما تستطيع من سرعة لتتمكن من الوصول إلى مقبضه، لكنها فشلت في ذلك. دفعت

www.Rewity.com Breathless

الباب بقدر ما تستطيع من قوة، لكنها فشلت في تحريكه. في النهاية علمت أن عليها تقبل الأمر؛ لا سبيل لها للخروج من هنا!

انهارت على الأرض، والدموع الحارة تغسل وجهها، وهي منهارة بشكل كامل. وبطريقة ما، وعلى الرغم من كل شيء، نامت، لتستيقظ على ماذا؟

فجأة سمعت صوتاً، كانت متأكدة أنها لن تسمعه مطلقاً من جديد. سمعت ماركو ينادي: «جاكوبا...! جاكوبا...! هل تستطيعين سماعي؟».

كان عليها أن تبتلع غصة تكاد تخنقها، قبل أن تجيب بنبرة حادة: «هنا... أنا هنا!».

حملت الدقائق القليلة التالية عاصفة من العواطف. أخذت جاكوبا ترتجف وتتنهد، ما إن رفعها بين ذراعيه وضمها إلى قلبه بكل ما لديه من قوة.

قال بعاطفة صارخة وبقوة: «حبيبتي! حبيبة قلبي! هل أنت بخير؟».

ثم جمد مكانه. بنبرة صوت بالكاد تمكنت من سماعها، همس في أذنها: «ابقي هادئة، ومهما حدث... لا تتحركي».

١٢ - حرية بعد الأسر

سيطر رعب كبير لا يحتمل على جاكوبا. شعرت كأن الألم في أعماقها سيقضي عليها، فهي لا تستطيع أن تتحمل أن يموت هنا معها. بهدوء وصمت أنزلها ماركو على قدميها، ووقف بينها وبين الضوء الخافت الذي راح يقترب، ويتسلط عليهما.

توقف القادم عند باب الزنزانة: «لا أريد أن أسبب لك أي أذى، سمو الأمير».

إنه صوت أصبحت تعرفه جيداً الآن. تابع الرجل بنبرة الاحترام ذاتها: «مشكلتي هي مع تلك الشريرة صاحبة الشعر الأحمر، التي أمسكت بك بين مخالبها».

قال ماركو بهدوء:

- عليك أن تقتلني لتصل إليها.

رباطة جأشه وتماسكه أدهشا جاكوبا وأخافاها في الوقت عينه. لم تستطع التوقف عن الارتجاف. راح عقلها يدور في اضطراب وصراع كبيرين، فهي لا تستطيع أن تفهم ما الذي يجري معها وأمامها.

قال الرجل بنبرة خشنة قاسية: «قلت لك إنني لا أريد أن أسبب لك الأذى، لكن إن كان عليّ القيام بذلك، فسأفعل للنيل منها. يجب أن أقتل هذه المرأة. أمها خانت عمي، وأرسلته إلى القبر لتتمكن من الزواج من باولو كونسيدين».

سأله ماركو بنبرة هادئة:

www.Rewity.com Breathless

- إذاً، أنت تخطط لقتل ابنة عمك؟

- إنها تدين للعائلة بالفدية بدمائها. والدها مات في هذه الزنزانة. أمها تزوجت المتوحش الذي قتل جديك. لتسكن روحها الجحيم إلى الأبد! لابد أنهم يراقبونك من السماء، وهم غاضبون منك لأنك تريد الزواج بها.

- حتى إن كان ما تقوله صحيحاً، فما الذي فعلته هي، وبمَ أساءت إليك؟

ساد الصمت لفترة كافية. حبست جاكوبا أنفاسها، حتى قال ابن عمها بصوت عالٍ وعنيف: «لابد أنك تعلم كيف تجري الأمور هنا. القاتل يُقتل هو أو عائلته. أقسمت لوالدي وهو على فراش الموت إنني سآخذ بثأره من القاتلة إن كانت لا تزال على قيد الحياة».

بدت نبرة صوت ماركو حاملة للاهتمام بدلاً من الإدانة والغضب من الرجل أمامه، وهو يقول: «إذاً، لِم لم تقتلها مباشرة بدلاً من إحضارها إلى هنا وتعذيبها بهذه الطريقة؟».

تردد الرجل قليلاً، قبل أن يعترف بعناد: «أردت أن أقتلها، لكنني لم أستطع القيام بهذا الأمر. أنا لا أستحق ثقة والدي بي... لكنني وعدته، لهذا تركتها هنا في الزنزانة، حيث مات عمي».

- ولماذا عدت إلى هنا؟

احتاج الرجل إلى وقت أطول هذه المرة، قبل أن يجيب بغضب: «لأقتلها. لم أستطع... لم أستطع أن أتركها تموت في الظلام بمفردها، فأنا لا أفعل ذلك بكلب أو فأر حتى... لا أضعه في قفص بدون طعام أو ماء أو ضوء».

توقف للحظة، قبل أن يتابع: «... لذا قررت أن أعود لأقتلها بسرعة».

قال ماركو بنبرة هادئة: «أعتقد أنك لم تخطط لقتلها، فأنا أعرف من

أنت. سمعت الكثير عنك، فأنت تداوي الناس والحيوانات بالأعشاب. من يفعل ذلك لا يمكنه أن يقتل. أنا متأكد أنك كنت ستطلق سراحها».

ظهر الاهتياج على الرجل، وصاح قائلاً: «لكنني وعدت والدي... وأنا جاثٍ على ركبتي، أقسمت له إنني سآخذ بثأر العائلة، التي لم يبقَ له منها سواي... بسبب تلك المرأة... أمها».

شعرت جاكوبا بالتوتر الشديد، وخشيت على ماركو من غضب ابن عمها. قد يدفعه غضبه إلى إطلاق النار عليه. أجفلتها الفكرة. لا! لن تتحمل أن ترى ماركو يموت. عليها القيام بشيء ما. إن كان على أحدهما أن يموت فلتكن هي لا هو. اندفعت إلى الأمام من خلف ظهره وهي تزيحه من طريقها لتواجه قدرها بشجاعة. سرعان ما تحرك ماركو، فصاح بها، وأطبقت يداه عليها، وأعادها إلى الوراء ليحميها.

بعد أن ساد الصمت للحظات، انطلق صوت آخر، فاجأهم جميعاً. إنه صوت ماريا، مدبرة المنزل التي قالت: «إنه على حق بييرو، فأنت عدت لتطلق سراحها. أمها لم تكن خائنة، ووالدك كان على خطأ».

صاح بييرو بقوة: «لكنني وعدته! آه! سوف أقتل نفسي، لأنني لم أفِ بوعدي لوالدي».

مد يده إلى جيبه ليخرج المسدس، إلاّ أن ماركو سارع إلى الإمساك به. راح الرجلان يتصارعان في المكان شبه المظلم. ومع أن بييرو قوي الجسم إلاّ أن ماركو أطول قامة وذو بنية مليئة بالعضلات، لذا تمكن من التغلب على الرجل الآخر وانتزاع المسدس منه. أخيراً قال له: «ما الذي ستجنيه من قتل نفسك؟ أخبرتني ماريا أنك بارع في معالجة الحيوانات، فما الذي سيفعله المزارعون من دونك؟».

لم ينبس بييرو بكلمة. بعدئذٍ قالت ماريا: «اصغ إلي بييرو! أنت تعرفني جيداً، وتعرف أنني لا أكذب. والدة هذه المرأة لم تخن زوجها

www.Rewity.com Breathless

وزوجي وجدّي الأمير والآخرين. أنا أعرف الشخص الذي وشى بهم، وقد قتلته بيدي».

سألها بييرو بصوت خشن: «من فعل ذلك؟».

- لم يعد لذلك أهمية الآن. قضي الأمر.

شعرت جاكوبا بالغثيان، وبأن الأرض تدور بها بسرعة. أطلقت أنيناً خافتاً، وسقطت مغشياً عليها. لكن قبل أن تفقد الوعي بلحظة، شعرت بذراعي ماركو القويتين تحيطان بها، فأدركت أنها بأمان.

* * *

استيقظت جاكوبا في غرفتها، وراحت تحدق بالسقف. رمشت عدة مرات قبل أن تدرك أين هي بالتحديد. شعرت بألم شديد في رسغيها، فحركتهما علّها تريحهما في وضعية أخرى.

- أنت بخير الآن. قال الطبيب إنك فقدت الوعي بسبب التعب والجوع والعطش.

بدت نبرة صوت ماركو مليئة بالاحباط، وهو يقف بجانب السرير، فيما عيناه لا تفارقانها. غمغمت جاكوبا: «الطبيب؟! لم أعتقد أن هناك طبيب في الوادي».

- أحضرت طبيباً من المستشفى الرئيسي في العاصمة، بالطائرة.

علقت بضعف: «شكراً لك! إذاً لم يكن هذا حلماً. آسفة لأنني غبت عن الوعي».

قال ماركو بنبرة صوت لم تسمعها منه من قبل: «لماذا اندفعت إلى الأمام معرضة حياتك للخطر؟».

- بدا بييرو غاضباً جداً، وخشيت أن يقتلك.

- وهل أردت حمايتي بجسمك؟ لماذا فعلت ذلك؟

تشابكت نظراتهما، وساد الصمت بينهما للحظات، ثم قالت جاكوبا برقة: «لأنني أحبك».

ركع ماركو على ركبتيه، وأحاط وجهها بيديه. بدا وجهه منهكاً، لكنه ينضح بالعزم. قال لها: «عندما عدت برفقة ألكسا، وعرفت باختفائك، أصابني الجنون. ظننت أنك مت... يا إلهي... جاكوبا! أنا أحضرتك إلى هنا، ووعدتك بالحماية».

- لا بأس! كل شيء على ما يرام الآن.

قال ماركو بحزم: «لن أسمح بحصول ذلك ثانية. سنتزوج غداً، ونغادر هذا المكان، ولن نعود إليه أبداً».

- باالطبع! ذلك سيخفف من شعورك بالذنب.

قال بانفعال أسقط عنه قناع السيطرة على النفس الذي حاول التمسك به: «لا أريد الزواج بك بسبب مشاعر الذنب. قاومت طويلاً فكرة الوقوع في حبك، لكن عندما ذهبت لإحضار ألكسا، افتقدتك كثيراً. أحسست كما لو أنني تركت نصف كياني هنا. عندما عدت ولم أجدك، كدت أصاب بالجنون، وأدركت حينها مقدار حبي لك».

غمر جاكوبا مزيج من الفرح والارتياح والبهجة، ولم تستطع التوقف عن الابتسام. تابع ماركو يقول: «لكن في المرة المقبلة، عندما أقول لك لا تتحركي، أطيعيني وابقي مكانك».

أمسك يديها برفق، وطبع قبلة على كِلا رسغيها، ثم قال: «ما رأيك أن نقيم حفل زفاف ثلاثي مع غابي وميليسا وحبيبيهما؟ أليست فكرة رائعة؟».

- آه! سيكون ذلك رائعاً حقاً.

سمعا طرقاً على الباب، تلاه صوت ماريا: «ابن عم الآنسة جاكوبا يود رؤيتها. إنه نادم ويريد منها أن تسامحه، أو على الأقل أن تتفهم لماذا قام بما قام به».

سألها ماركو: «هل تودين رؤيته؟».

عبرت رعشة من الخوف في كيانها لأنها سترى الرجل الذي

www.Rewity.com Breathless

اختطفها وهددها بالقتل، لكنها قالت: «حسناً! دعيه يدخل».

بقي ماركو إلى جانب سريرها، وما إن رأت جاكوبا ابن عمها حتى تلاشى خوفها نهائياً، إذ بدا واضحاً أن بييرو نفسه عانى من الألم مثلها تماماً. قالت له مطمئنة: «أنت نسيبي الوحيد إلى جانب أختي ألكسا».

طرف بييرو بعينيه، وقال: «أقسم لك إنني لن أتعرض بالسوء لأختك».

تردد قليلاً، قبل أن يتابع: «لم أستطع تنفيذ رغبة والدي حتى عندما كنت تحت رحمتي، ولم يكن هناك من يحميك مني».

علق ماركو بنبرة تخلو من التعاطف: «لأنك عرفت في قرارة نفسك، أنك ترتكب خطأ...».

قاطعته جاكوبا: «سوف تجد أنك وأختي لديكما أموراً كثيرة مشتركة، فهي طبيبة بيطرية أيضاً».

أومأ بييرو موافقاً، ثم انحنى أمام الأمير قائلاً: «سيدي! أن أردت أن تقتلني...».

جاء رد ماركو الحازم على الفور: «قريبتك لم تصب بأذى، وأنت ندمت على فعلتك، وهذا كاف. لكن حتى لو قتلتها ما كنت لأقتلك، بل كنت لأقاضيك أمام القانون. لم يعد في إيليريا مكان للأخذ بالثأر. أطلب منك شيئاً واحداً من أجلنا ومن أجل أهل إيليريا... أن تتحدث في كل مكان عن بشاعة هذا التقليد وعن ضرورة اللجوء إلى القانون بدلاً من اللجوء إلى الثأر».

- سوف أفعل.

قال ذلك، وهمّ بأن يستدير ليغادر، فمدت جاكوبا يدها لتصافحه. أجفل لرؤية رسغها المتضرر، وما إن مد يده لمصافحتها حتى تطاولت جاكوبا، وعانقته قائلة برقة: «شكراً لك، يا ابن عمي».

تجمدت حركته في البداية، لكنه ما لبث أن غمرها بذراعيه، وقبل

جبينها. بعدئذٍ خرج من الغرفة برفقة ماريا. سألت جاكوبا بعد برهة: «أتظن أن ألكسا أصبحت بأمان؟».

- ليس تماماً. أعتقد أنه يجدر بكما أنتما الاثنتان أن تقوما بتحرك علني يرضي الشعب. الناس في إيليريا مؤمنون، والقديس إيفان هو شفيع البلاد. أقترح أن تقوما بزيارة الكاتدرائية التي دفن فيها، للصلاة والتضرع.

- إن كنت تظن أنها خطوة مناسبة فلا مانع لدي، لكن عليك أن تطرح الفكرة على ألكسا.

صمتت قليلاً، ثم أردفت: «إن كنا سنذهب، من الأفضل أن نكون من دون حراسة، لإظهار حسن النية في الأمر».

* * *

ظلت ألكسا صامتة للحظات طويلة، عندما نقل إليها ماركو اقتراحه في وقت لاحق. كان قد أطلع أخاه غابي على فكرته، وقاما معاً باستشارة الأمير أليكس، الذي رحب بالأمر، وكذلك فعل مستشاروه.

قال غابي: «لست مضطرة إلى القيام بذلك ألكسا».

رفعت ألكسا كتفيها، وأجابت: «أعتقد أنه يجدر بي ذلك، فهو في النهاية والدي. إن كنا نرغب بتحسين الأمور في البلد الذي أدخله في الفوضى والظلام، فعلي القيام بذلك».

نظرت إلى جاكوبا، وتابعت: «لكنك لن ترافقيني خلال هذه الرحلة».

قالت أختها الكبرى بنبرة حازمة: «لا تكوني حمقاء! إن قررت القيام بذلك، فسأكون إلى جانبك».

بقيت على موقفها الحازم خلال الأسبوع التالي، فيما عمل الأمير أليكس وفريق مستشاريه على تحضير الناس للمناسبة. في النهاية تقبلت ألكسا حضور أختها معها. أثناء سيرهما في الشوارع المظلمة نحو

www.Rewity.com Breathless

المعبد الأبيض المحاط بالنباتات الخضراء، قالت لها: «ليس هناك من وسيلة أخرى للقيام بذلك، كما أظن. أشعر أنني أدين لهذا الشعب بما أقوم به، وكل ما أتمناه هو أن ينجح الأمر فعلاً».

هذا ما تمنته جاكوبا أيضاً. بقيتا صامتتين عندما لاقاهما الكاهن عند باب المعبد. وجدتا المبنى الضخم فارغاً إلاّ من أنوار الشموع الخافتة. جثت المرأتان على ركبتيهما. سمعت جاكوبا حفيف ثوب الكاهن وهو يسير ليقف أمامهما. صلّت من أجل إيليريا وشعبها، وللأطفال الذين سينشأون في حرية، بعيداً عن التقاليد البالية. سمعت أصواتاً خافتة جعلتها تنهض من مكانها. بدأ قلبها يدق بسرعة، ما إن رأت الناس يدخلون بهدوء إلى المعبد. شعرت بجلدها يضيق عليها، ومدت يدها لتجذب يد أختها. ستموتان معاً على الأقل. ما لبثت أن أدركت أن القادمين ليسوا سوى مجموعة صغيرة من الناس. بعدئذٍ دخل الناس بالمئات بل بالآلاف. سمعت همساتهم وحفيف أثوابهم، وهم يجثون في المبنى الكبير، ثم سمعت أصوات صلواتهم الخافتة. أدركت أن سكان إيليريا انضموا إليها وأختها في الصلاة من أجل بلادهم. أصابتها دهشة ممزوجة بالفرح، وعلمت أن الأمور ستسير على ما يرام. خرجت الأختان من المعبد، بعد أن جاء ماركو وغابي لمرافقتهما. هناك رأت جاكوبا الباحة مليئة بالناس الذين يرتدون ثياباً سوداء، ويصلون بصمت. رأت المشهد نفسه في الشوارع أيضاً. وضع غابي ذراعه خلف ظهر ألكسا، وقال بهدوء: «هذا ما يحدث في كل مكان في البلاد. المعابد ملأى بالناس، وهذا تصريح واضح بالثقة بكما وبحكم أليكس. إنه أكبر دليل على نهاية زمن الأخذ بالثأر».

* * *

أخيراً جاء اليوم المنتظر. يوم الاحتفال بزفاف ثلاثة أخوة من عائلة كونسيدين. وصلت العرائس الثلاث إلى الكاتدرائية في عربة تجرها

الخيول، وقد تزينّ بمجوهرات «دماء الملكة»، فوضعت ميليسا التاج، فيما تقلدت سارة العقد، أما جاكوبا فاختارت القرطين لأذنيها. احتشد الناس على الطرقات يلوحون لهن، والفرحة تبدو مشعة من وجوههم.

تراقصت الأضواء على المذبح ما إن علت الموسيقى معلنة دخول ميليسا. التقطت جاكوبا باقة الأزهار بقوة بيديها المضطربتين، وتجمعت المرافقات حولها. وقفت دون حراك، بينما جلس المهنئون، وبدأ الكاهن بتلاوة مراسم زفاف سارة وغابي.

بالرغم من الأبهة والضيوف البارزين ونخبة رجال السلطة في العالم، بدا الاحتفال بسيطاً ومؤثراً جداً. رمشت جاكوبا بعينيها لتبعد عنهما الدموع، ما إن تبادل أخ ماركو وعروسه كلام الحب والولاء.

التفتت إلى ماركو والتقت عيونهما. أشاحت بنظرها، لأن سيطرتها على عواطفها بدت هشة جداً. وهي لا تريد أن تبكي كالأطفال يوم زفافها. أخيراً جاء دورهما، أعطت جاكوبا باقة الأزهار لألكسا، ووقفت إلى جانب ماركو. أمسك ماركو يدها، فشعرت بيده دافئة وقوية وداعمة لها. أجبرت نفسها على أن تهدأ، ثم أمسكت بيده لتدعمه هي بدورها. أصغيا إلى الكاهن، وما إن أعلنهما زوجاً وزوجة حتى صدحت أصوات الموسيقى بالفرح والبهجة.

* * *

في وقت لاحق مرر ماركو يده على عنق زوجته، وظهرت الرقة في عينيه. قررا أن يمضيا شهر العسل على الشاطئ، في الفيلا القديمة المليئة بأصداء صوت الأمواج ورائحة الأزهار، مع الأصوات البعيدة القادمة من القرية. سمعا أصوات أسهم نارية في ذلك الليل الدافئ، وهذا يعني أن الناس في القرية ما زالوا يحتفلون.

سألها ماركو: «هل أنت سعيدة؟».

همست جاكوبا: «أنا الآن في سعادة عارمة، وأنت تعرف ذلك».

www.Rewity.com Breathless

ضغطت بذراعيها حوله بثقة كبيرة، لتؤكد له أن كل خوف في حياتها قد تلاشى بسبب حبها له. قال بهدوء: «وأنا كذلك. عندما استيقظ كل صباح وأراك بجانبي، نائمة وشعرك حول وجهك الرائع، أعلم أن لا شيء في العالم يعني لي بقدر ما تعنين لي أنتِ. هل تمكنت من إقناعك أنني مستعد لكي أموت من أجلك، مع أنني أشعر بولاء كبير نحو إيليريا؟ أنت دائماً ستبقين الأولى في حياتي».

قالت جاكوبا معترفة: «أجل، فأنا أحبك أكثر مما كنت أحبك منذ سنة مضت. لم أكن أعلم أن الحب ينمو وينمو حتى يملأ الحياة كلها».

راقبا وجه القمر المكتمل وأشعته الفضية المتسللة إليهما عبر النوافذ، ثم أحنى ماركو رأسه ليعانقها.

في وقت لاحق، عندما أبحر القمر باتجاه الغرب، ولم يعد هناك أي أضواء نارية تنفجر في السماء، استلقت جاكوبا صامتة تصغي إلى دقات قلبه تحت خدها بنعومة وهدوء. قالت: «أنا وألكسا أمضينا القسم الأكبر من عمرنا، ونحن نشعر بالخوف من مجرد ذكر اسم إيليريا، واليوم، عندما نمر في الشوارع يرمي الناس الأزهار علينا. يبدو لي ذلك كالحلم».

- حلم جعلته أنت وألكسا يصبح حقيقة لشجاعتكما.

تابع ماركو بثقة لا مجال للشك فيها: «من الآن وصاعداً يا حبيبة قلبي، لن ترمي الحياة عليك إلا الأزهار».